

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل-

الرقم التسلسلي
.....



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الاغتراب في رواية طيور أيلول
-لاملي نصر الله-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتورة:
حليمة بولحية

إعداد الطالبتان:

- فاطمة الزهرة قيدير
- سناء قردوح

الصفة	الرتبة العلمية	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	أستاذ محاضر	د. محمد زكور
مشرفا ومقررا	أستاذة محاضرة	د. حليمة بولحية
ممتحنا	أستاذة محاضرة	د. كريمة بوخاري

السنة الجامعية: 2021/2020م / 1442هـ / 1443هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

16

دُعَاء

اللهم لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا باليأس إذا فشلنا بل

ذكرنا دائما أن الفضل هو التجارب التي تسبق النجاح

يا رب إذا حرمتنا من النجاح اترك لنا قوة العناد حتى نتغلب على

الفضل، وإذا جردتنا من نعمة الصحة اترك لنا نعمة الإيمان.

يا رب إذا أسأنا إلى الناس اعطنا شجاعة الاعتذار ، وإذا أساء لنا

الناس اعطنا شجاعة العفو.

يا رب إذا نسيناك لا تنسنا

اللهم بك نستعين وعلينا نتوكل اللهم دال صعوبة أمرنا وسهل لنا

مشقتنا وارزقنا من الخير كله، أكثر مما نطلبه واصرف عنا كل شر.

اللهم آمين



شكرتكم

الحمد لله الذي أثار لنا دروب العلم والمعرفة، وأماننا على أداء هذا الواجب، ووفقتنا في إنجاز هذا العمل.

إن الشكر الأول لله سبحانه وتعالى الذي نرس في قلبنا حب العلم والإيمان، والذي وفقنا وسدّد خطانا لا نجاز هذا العمل المتواضع.

نستغل الفرصة لتقديم جزيل الشكر والتقدير لكل من علّمنا حرفه كلمة جميلة من السنة الأولى ابتدائي إلى يومنا هذا.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الوالدين الكريمين اللذين لهما الفضل في إيصالنا إلى ما نحن عليه، وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، و كما لا ننسى فضل الأستاذة المشرفة "بولحية حليلة" التي تفضلت بقبول الإشراف علينا في هذا البحث، ولم تبخل علينا بفيض معرفتها الجمة، وحكمتها البالغة، وتوجيهاتها السديدة، كما نشكرها على جهدها المبذول ووقتها في سبيل أن يخرج هذا البحث إلى النور، فجزاها الله عنا كل الخير وأطال الله في عمرها وأكسبها الثواب في ميزانها، كما ندع الله ليبقيها لدروب ساطعة.

كما نتقدم بالشكر الموصول بعبارات الاحترام والتقدير إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وإلى كل الأسرة التربوية بجامعة الصديق بن يحيى تاسوست.

والى من زرعوها فينا كل ما هو جميل، وما هو رائع، إلى من علّمونا كيفية نكون، وإلى من كانوا لنا نعم السند و نعم التوفيق في كل الدروب، إلى الذين قدونا دوما نحو الأفضل، وإلى من هد لنا يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

وجزاكم الله خيرا.

فاطمة الزهراء، سناء

الإهداء

إلى ثمرة جهدي، إلى أعلى ما أملك في هذه الدنيا، ولا يقدر خلاها بثمن، وأعذبه كلمة في الوجود، وأعلى هبة من الخالق المعبود، إلى زهرة حياتي وبهجتها

إلى أمي الغالية - حفظها الله -

يا من يرتعش قلبي لذكره، وتدمع عيني لفراقه، يا من كان لي ينبوع الصبر والتفاؤل

أبي الغالي - حفظه الله -

إلى من علمتني الحياة، وقيمة الوجود أخواتي، أختي الكبرى "لبلى" وزوجها "ممداد" والبراعم الصغار "ممدى" و"امين".

إلى توأمي وسندي، إلى أختي التي وقفتم بجانبتي إلى آخر نقطة، إلى أختي "بشرى" وزوجها "نعمان"، والبرعم المدلل "أنيس"

إلى إخوتي الصغار الذي يجري حبهم في عروقي "بشرى" و"أمينة".

إلى أعمز إخوة أمتك، أخي الكبير "رؤوف" وزوجته "سونية".

إلى من دقت في كنفهم طعم السعادة أخي "نصر الدين" و"فارس"

إلى من أظهرت لي كل الجميل في هذه الحياة، إلى أملي وضحتي، إلى أعمز أخت لم تلدها أمي، إلى صديقة المحبة "فاطمة الزهرة" حفظها الله من كل شر وبلاء

إلى كل من عرفني وتقاسم معي لحظة من لحظات حياتي، إلى الذي ذكره قلبي ولم يذكره لساني.

إلى جميع صديقاتي

إلى كل من مَدَّ يد العون لي من قريب أو بعيد.

أهدي ثمرة جهدي هذه

الإهداء

إلى من رعتني بقلبها قبل عينها، إلى خيمة العنان، وخيمة المكان، إلى معنى الحب والأمل،
إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان كعناؤها سر نجاحي، وعناؤها بلسم جراحي، إلى التي
يعجز لسان عن نطق الكلمات التي تعبر عن عظمتها التي كانت تشبه الشمس في دفنها، إلى التي
علمتني كيف اصنع من الفكرة حقيقة

أمي الحبيبة - أطال الله في عمرها -

إلى الذي أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من أرادني أن أكون ثمرة فخر واعتزاز له، إلى من
علمني أن الحياة صبر وكفاح، إلى القلب الذي سقاني من نبض دمه لأصل إلى هنا

إلى أبي الغالي - حفظه الله -

إلى من أرى التفاؤل في أعينهم، والسعادة في ضكاتهم، إليكم أخواتي ألقى من في الكون،
إلى رمز العنان: **أختي أمينة**، إلى شمعة قلبي: **أختي فادية وزوجها**، إلى من كانوا سنداً لي في
الوقوف معي اختاي الكبرى: **سعيدة ونوره**.

إلى من كانوا ملاذي وملجئي، إلى من حبهم يجري في عروقي، إلى أعز إخوة افتخر بيهم في
حياتي، إلى رمز العطاء والصبر، **أخي الكبير محمد** الذي وقف معي في مشواري الدراسي،
أتقدم بالشكر الجزيل له، إلى أروع أخ في الكون: **أخي مولود**، إلى القلب العنون: **أخي سمير**،
إلى رمز العطف: **أخي يزيد**، إلى توأم روحي: **أخي بلال**.

كما أتقدم بالشكر الجزيل الموصول والعبارات الاحترام والتقدير، إلى **زوجة أخي الضري**
"**أمل**" لا أنسى فضلها الذي قدمته لي في مشواري الدراسي، إلى البراعم الصغار: "**مريم**"
و"**براءة**"

إلى زوجة أخي "**سارة**" والكتكوت الصغير "**بونسي**"

إلى أختي التي لم تلدها أمي، إلى من كانت معي، إلى من تقاسمت معي الجهد، وتحملتني
إلى آخر نقطة في هذا العمل "**سناء**"، إلى كل صديقاتي خاصة رفيقة دربي وأختي "**صوبية**"
وعائلتها،

إلى كل من ذكرهم قلبي، ولم يذكرهم قلبي، إلى كل من وسعته ذاكرتي ولم تسعهم
مذكرتي، **أهدي ثمرة جمدي هذه**

مقدمة

مقدمة:

يُعد الاغتراب موضوعا بارزا شأنه شأن مختلف أوجه النشاط الإنساني، فهذا المصطلح يُركز على موضوعات مشتركة بين العلوم الاجتماعية والإنسانية والفلسفة والأدب بخاصة في زمن الحداثة وما بعدها، فهو ظاهرة إنسانية وُجدت منذ القدم، وألقت بضلالها على حياة الإنسان بمختلف جوانبه، حيث استطاعت أن تخلق فجوة بينه وبين محيطه مما جعله يعيش حياة مُعقدة بين عالمه والعالم الآخر.

لقد حظي مفهوم الاغتراب في الآونة الأخيرة باهتمام كبير من طرف الدارسين والمفكرين، ففرض نفسه على كثير من أوجه النشاط الأدبي واحتل مكانة في الأدب العربي.

من أبرز الأدباء والروائيين الذين تأثروا وأثروا في واقعنا، وحملوا نبرة الاغتراب في أعمالهم الروائية، نجد الكاتبة "أملي نصر الله" في روايتها "طيور أيلول"، والتي عبّرت عن قضايا اجتماعية إنسانية معاصرة، تمسها وتُخلخل وجدانها كفرد داخل مجتمعها العربي، حيث كانت طفرة مغتربة مثلت نموذج الرواية الاغترابية أحسن تمثيل فوق اختيارنا عليها، لهذا كان عنوان بحثنا "الاغتراب في رواية طيور أيلول لأملي نصر الله".

تكمن أهمية هذا البحث في تقصي الجوانب المتعلقة بالاغتراب في الرواية وإيصالها للقارئ، وبحثنا هذا كغيره من البحوث العلمية التي تطمح إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، والتي منها سعينا إلى تسليط الضوء على واحدة من أبرز كتابات هذه الروائية، واكتشاف وتحليل مكونات هذا النص الروائي والتعرف على ما يحتويه من جماليات فنية أدبية.

أما عن أسباب اختيارنا لهذه الدراسة فكان في البدء مجرد قناعة ذاتية تُبثها الافتنان المتواصل بالرواية في اكتشاف مضمونها، قبل أن يتحول هذا الإعجاب إلى قناعة فكرية، بالإضافة إلى قرب الرواية من واقعنا.

يبقى الأمر الذي لا يمكن إنكاره أننا استندنا في دراستنا هذه إلى دراسات سابقة قدمت في هذا المجال من قبل نذكر على سبيل المثال:

* بنية السرد وجمالية التفاصيل (الحديث-المكان-الشخصية) في رواية طيور أيلول لأملي نصر الله.

* الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري دراسة موضوعاتية فنية.

أما فيما يخص إشكالية بحثنا تمثلت في السؤال التالي: كيف تجلّى الاغتراب في رواية طيور أيلول؟ وقد تمخضت عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية من بينها:

- ما معنى الاغتراب؟

- وما هي أنواعه؟

- ما علاقة موضوع الاغتراب بالأدب والفلسفة؟

- وفيما تمثلت الدوافع التي أدت إلى الاغتراب؟

اعتمدنا في دراستنا هذه على جملة من المصادر والمراجع التي شكلت زاد هذا البحث ومرتكزه العلمي نذكر منها:

* حلیم برکات: الاغتراب في الثقافة العربية.

* محمد عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني.

* زهر مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي.

* عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب. وغيرها من المراجع التي لازمتنا طيلة هذه الدراسة.

لبلوغ المرامي التي سطرناها أنفا حرصنا على تقسيم بحثنا هذا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة. الفصل الأول نظري بعنوان ماهية الاغتراب، ثم توزيعه على أربعة عناصر، الأول: تعريف الاغتراب لغة واصطلاحاً، الثاني: أسباب الاغتراب، الثالث: مظاهر الاغتراب، الرابع: أنواع الاغتراب

ليأتي الفصل الثاني الذي كان بمثابة تطبيق على الرواية تحت عنوان تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول لإملي نصر الله، الذي عملنا فيه على استخراج أنواع الاغتراب بكل أشكاله بداية من الاغتراب النفسي، تلاه الاجتماعي والزمكاني، وأخيراً الاغتراب اللغوي.

لنتهي في الأخير بخاتمة أوردنا فيها جل النتائج التي توصلنا إليها.

اعتمدنا في معالجة موضوعنا هذا المنهج الوصفي التحليلي الذي رأيناه الأنسب لمثل هذه الدراسة.

لكل عمل أو بحث نقصان، فطريق بحثنا هذا كأى مشروع علمي لم يكن خاليا من العوائق والعراقيل سواء كانت في اختيار هذا الموضوع أو في تصنيف أنواع الاعترايات الموجودة في النص الروائي لتداخلها مع بعضها البعض فوقعنا بذلك في مشكل التكرار والإعادة، إلا أن هذه الصعوبات تم تذليلها ببذل جهد إضافي وكذا توجيهات الأستاذة المشرفة.

في الختام لن ننسى فضل أستاذتنا المشرفة "بولحية حليلة" التي أشرفت على هذا البحث، وأعانتنا بملاحظاتها وتوجيهاتها فإليها يرجع الفضل في إيصال هذا العمل إلى الشكل الذي انتهى إليه، لذا نتقدم إليها بخالص عبارات الشكر والامتنان والتقدير.

الفصل الأول: ماهية الاغتراب.

1- مفهوم الاغتراب

1-1 لغة

1-2 اصطلاحا

2- أسباب الاغتراب

3- مظاهر الاغتراب وأبعاده

4- أنواع الاغتراب

تمهيد:

يواجه الإنسان العربي منذ القدم أزمات نفسية بفعل التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي ولّدت عالماً من التناقضات والصراعات مع النفس البشرية، وعجزه على التأقلم مع حاجيات العصر، ما أدى إلى بروز ظواهر عديدة انعكست سلباً على الفرد، ومن بين هذه الظواهر ما يسمى "الاغتراب"، فما هو الاغتراب؟ وما هي أسبابه وأنواعه؟ وكيف تجلّى في الأدب؟

1- مفهوم الاغتراب:

1-1 لغة:

أ. في المعاجم:

ذكرت لفظة "الاغتراب" في كثير من المعاجم اللغوية، من بين هذه المعاجم نذكر منها:

1- لسان العرب:

«غربت الشمس، تغرب غروباً ومُغِيرَانَا: غابت في المغرب، والغَرْب: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ عَنَّا، يَغْرُبُ غَرْبًا، وَغَرَّبَ وَأَغْرَبَ وَغَرَّبَهُ، نَحَاهُ: نفيه عن بلده، والغُرْبَةُ: النوى والبعد.»⁽¹⁾، يشير هذا المعنى إلى البُعد والنفي عن الوطن، والابتعاد عن الأحبة.

2- المصباح المنير:

«غَرَبَ: غربت الشمس، تغرب غروباً، بَعَدَتْ وتوارت في مغييها، وَغَرَّبَ الشخص: بَعُدَ عن وطنه فهو غريب، وكلام غريب بعيد عن الفهم»⁽²⁾، لم يخرج هذا المفهوم من دلالة البُعد والاغتراب عن البلد، وأضاف على ذلك الغريب من الكلام أي القول غير الواضح وغير المفهوم.

⁽¹⁾ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج1، ط1، (د، ت)، ص 637، 638.

⁽²⁾ أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب شرح الكبير، المكتبة العالمية، بيروت، مج1، (د، ط)، (د، ت)، ص 169.

3- الصّاح:

«تغرّب واغتربَ بمعنى فهو غريب، وُغِرِبَ بضمّين والجمع: الغُرباء، والغرباء: الأبعد، واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقرابه»⁽¹⁾، يحمل هذا القول معنى الزواج من غير الدّم أي من غير الأقارب، وبالتالي تغريب النكاح.

نخلص من خلال المعاني اللغوية السابقة أنّ الاغتراب كلمة تحمل دلالة البعد والتروح عن الوطن، وكذا مفارقة الأهل والأحبة، والانعزال عنهم سواء إراديا أو إجباريا، وهي نفسها في أغلب المعاجم كمعجم "العين" للخليل الفراهيدي"، ومعجم "مقاييس اللغة" لابن فارس" فهي تحمل دلالة مشتركة.

ب. في القرآن الكريم والسنة:

ورد الاغتراب في القرآن الكريم بكثرة وبصيغ مختلفة في مواضع متنوعة نذكر منها:

1- قوله عزوجل: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ»⁽²⁾، تحمل معنى مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ومسجده ومصلاه وترك البيت العتيق.

2- قوله تعالى: «وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»⁽³⁾، يقصد مفارقة أهل الشرك، ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض السلام، ويتبع منهاج الله ورسوله، يفتح الله له باب الرزق والسعة والهدى.

3- قوله تعالى: «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ»⁽⁴⁾، تبين الآية حال الغرباء والبقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الفساد، فالغرباء هم الذين يقومون بالإصلاح بين الناس وفي الأرض.

⁽¹⁾ إسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح تاج اللغة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت، ج1، ط2، 1979، ص

191.

⁽²⁾ سورة البقرة: الآية 115.

⁽³⁾ سورة النساء: الآية 100.

⁽⁴⁾ سورة هود: الآية 116.

4- قوله تعالى: «وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا»⁽¹⁾، تكمن غربة إبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وابتعد عنهم وتبرأ منهم ومن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله.

5- قوله عز وجل: «وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ»⁽²⁾، بمعنى لا تتعرضوا إليّ، ودعوا الأمر بيبي وبينكم مسألة إلى أن يقضي الله بيننا واخلوا سبيلي.

نستشف في الأخير أن القرآن الكريم يعج بمصطلح الاغتراب بدلالات مختلفة، ولو مضينا نعد الأمثلة لطلال بنا المقام، فكل الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- عانوا الغربة والاغتراب عن الديار والأحبة وهاجروا قصرا إلى أرض غير أراضيهم وأوذوا في سبيل الله أشد الإيذاء.

بعدها عرضنا لفظة الاغتراب في القرآن الكريم بدلالات متنوعة، سنتطرق إليها في السنة، حيث وردت الغربة في أحاديث نبوية متعددة نبين منها ما يلي:

1- قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: «أهل الإسلام في الناس غرباء والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل السنة الذين يميزونها من البدع والأهواء فيهم غرباء والداعون إليها (...) هؤلاء غربة وهم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة»⁽³⁾، يبين لنا ابن القيم -رحمه الله- أن الغربة أنواع: غربة أهل الله وأهل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين هذا الخلق، وهي أصعب غربة عرفها الناس إذ تغربوا عن الله وابتعدوا عن طاعته وسنته.

2- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء، قيل ومن الغرباء قال: النزاع من القبائل، وفي رواية: بدأ الإسلام غريبا ثم يعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»⁽⁴⁾، حمل الحديث في طياته معاني كثيرة منها الغريب المفارق لوطنه إذ تغرب عنه فراراً بدينه إذا اشتدت المحن، وقيل أيضا: أن الإسلام سيلحقه النقص والقلّة وسيعود غريبا كما بدأ، وفي معنى ثالث بيان فضل الغُرباء وهم القلة المتمسكون بشرع الله وسنة نبيه ولقلتهم سُموا غرباء.

⁽¹⁾ سورة مريم: الآية 48

⁽²⁾ سورة الدخان: الآية 21.

⁽³⁾ ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991، ص 189.

⁽⁴⁾ رواه ابن ماجه "كتاب الفتن" والدرامي وأحمد، ورواه مسلم، (باب الغرباء).

3- سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغرباء فقال: «الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي»⁽¹⁾، يقصد بالغريب الذي ينهج سلوك مُغاير عن سلوك مجتمعه، فمن يخرج عن نمط عشيرته فهو غريب عنهم.

4- قال الخطابي -رحمه الله-: «ولسنا نريد بهذه العُزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات، وترك حقوقهم في العبادات (...) وإنما نريد بالعزلة: ترك فضول الصحبة ونبد الزيادة منها»⁽²⁾، فيكون الاعتزال هنا إراديا خاصة في زمن كثر فيه الفتن والفساد وعلى المسلم أن يجتنب مخالطة رفقاء السوء والتغرُّب عنهم.

نلاحظ مما سبق أنه يوجد اتفاق في القرآن الكريم والسنة حول دلالة الاغتراب، وأنه لم يخرج عن معاني البُعد عن الوطن والأهل (الهجرة إلى يثرب) بالإضافة إلى البعد عن الدين الإسلامي وتعاليمه.

1-2 اصطلاحا:

أ- في الرواية:

تناولت الأعمال الأدبية خاصة الروائية منها ظاهرة الاغتراب، لأن الرواية مرآة عاكسة للمجتمع، وأكثر تجسيدا للواقع المعاش، وبالتالي أكثر تمثيلا للاغتراب، من بين الروايات التي تعرضت للاغتراب نذكر منها:

1-رواية "ثرثرة فوق نهر النيل" لـ "نجيب محفوظ": نُشرت في سنة 1966، بعد نشرها تعرض "محفوظ" لغضب المسؤولين من مجلس قيادة الثورة، «من بين الروايات ألا مواجهة التي تُصور الإنسان في حالة اغتراب وهرب من الواقع بدلا من الكفاح والسعي لتغييره (...) وتلجأ شخصيات ثرثرة فوق النيل هرباً من الواقع إلى عوامة لتمارس الإدمان بشكل طقوسي»⁽³⁾، استطاع الروائي من خلال حيكته البسيطة المتوارية خلف ثرثرة الشخصيات التعبير عن محنة الناس عامة والمتقنين بشكل خاص، الذين عانوا فقد الانتماء والمبادئ في المجتمع، وعكس الجانب السلبي للفرد الذي يُفضل الهروب من الواقع ومشاكله بدلَ المواجهة والتصدي للعراقيل التي تُؤرقه.

⁽¹⁾ رواه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في سننه، وابن ماجه في نسائه.

⁽²⁾ أحمد بن علي بن حجر: مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ج1، ص 43.

⁽³⁾ حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006، ص

2-رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لـ "الطيب صالح":«تمثل الرواية التمرد الفردي في محاولة يائسة للتغلب على حالة الاغتراب والنفى وبعد ذلك صنفها على أنها أيضا رواية العودة إلى الماضي»⁽¹⁾، تمثل الجانب الإيجابي للفرد الذي يحاول التخلص من وحدته وغربته من خلال انتقال البطل "مصطفى" من حياة البدائية في السودان إلى حياة التحضر بريطانيا، لكنّه لاحظ الفروق الطبقيّة الموجودة بين المجتمعين، فعاد إلى بلاده بعدما عانى من غربّة مكانية واجتماعية.

3- رواية "ستة أيام" لـ "حليم بركات": والتي عبرت بشخصياتها المغتربة عن «طبيعة اغترابهم وعلاقتهم بالمجتمع والدولة وردود فعلهم إزاء هذا الشعور الحاد وتطور سلوكهم في محاولة لوضع حد لاغترابهم»⁽²⁾، رسم الكاتب في روايته حالة الاغتراب عند الإنسان العربي وانعكاسه السلبي على سلوكه وحياته اليومية.

4- رواية "عصفور من الشرق" لـ "توفيق الحكيم": التي تحمل في طياتها اغتراب مكاني ونفسي «فتنقله من شرقه وأهله وحاميته السيدة زينب حيث كان يعيش الأمن والطمأنينة إلى البيئة الغربية ليجد نفسه مقحماً في علاقات اجتماعية (سوزي وأندري) نفعيّة وسطحية كل هذا جعله يُحس بانعدام الأمن والضياع، فأصبح يعيش وكأنّه عن هذه البيئة آتٍ من عالم آخر»⁽³⁾، عرض السارد غربّة البطل "محسن" الذي انتقل من البيئة الشرقية إلى البيئة الغربية، فوجد نفسه أمام عالم مادي أناني مبني على المنفعة والمصالح، ومُغاير تماما لنمطه الأصلي، ممّا أعاق اندماجه في المجتمع الفرنسي، فولد فيه غربّة نفسية دفعته إلى العودة إلى وطنه الأم.

5-رواية "ليس في رصيف الأزهار من يجيب" لـ "مالك حداد": بطلها "خالد بن طوبال" وهو شاعر عانى الاضطهاد مما جعله يسافر إلى فرنسا، تاركاً وراءه زوجته تعاني مرارة الانفصال «إنّ الإنسان ليغامره شعور باليتيم عندما يهبط في مكان لا يجد فيه أحداً»⁽⁴⁾، يُشبهه نفسه بالطفل الذي يفقد حنان الأم وعطف الأب، ثم ينتقل بنا "مالك حداد" من غربّة مكانية إلى غربّة نفسية، «حالة نفسية يعاني أصحابها من الشعور بعدم الارتياح والاستقرار والقلق والشعور بالضياع والعزلة، وعدم الفعالية، والوحدة والتفاوت هذا الشعور كثيراً ما يؤدي إلى نتائج نفسية منها تفكك مشاعر الفرد وإحساسه بعدم الأهمية والفصامية ومن ثم اختلال

⁽¹⁾ حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ص 150.

⁽²⁾ بسام خليل فرنجيه: الاغتراب في أدب حليم بركات، رواية ستة أيام، مجلة فصول، ع1، ديسمبر 1983، ص207.

⁽³⁾ شريف موسى: الاغتراب في رواية عصفور من الشرق، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع07، جوان 2005، ص23.

⁽⁴⁾ مالك حداد: ليس في رصيف الأزهار من يجيب، تر: دوقان قرفوط، شركة الأمل، القاهرة، (د، ط)، 1999، ص 05.

الشخصية»⁽¹⁾، يصف لنا الروائي غربة نفسية وما ينتج عنها من قلق وضياح واختلال توازن شخصية الفرد، وشعوره بالتهميش وعدم الفاعلية في مجتمع غربي غريب عنه مما يُزعزع استقراره النفسي.

يمكن القول أن ظاهرة الاغتراب تجلت بكثرة وبدلالات مختلفة في الرواية، فمعظمها تولد نتيجة لمختلف الظروف والمحن القاسية، التي عانى منها الوطن العربي عامة والأدباء خاصة كأمثال "مالك حداد" من فقر ونفي وديكتاتورية الاستعمار العاشم، أدت بهم إلى ترك أوطانهم وأهاليهم بحثا عن عيشة أفضل فنتج عنها اغتراب مكاني ونفسي، من جهة أخرى تطرق الأدباء إلى الاغتراب كل -حسب نظرتهم- وما عانى منه سواء اغتراب مكاني أو نفسي واجتماعي، فمثلا "مالك حداد" في روايته عانى من اغتراب نفسي ومكاني، في حين "الطيب صالح" عانى من اغتراب اجتماعي طبقي.

ب- في الشعر:

سجّل مصطلح الاغتراب حضوره في الأعمال الأدبية الروائية خاصة، كما نلتبس حضوره بغزارة في الأعمال الشعرية، فالشاعر بشخصيته المرهفة ومشاعره الحساسة، وأيديولوجيته المنغمسة في العواطف الحساسة نجده أقرب معايشة للاغتراب حيث «كانت تدور في سياق التعبير عن تجربة إنسانية حية تجربة تحتفل بما كابده الشاعر القديم إلى درجة التمزق»⁽²⁾، إذن فحوى الاغتراب في الشعر ترتكز على التجربة الإنسانية التي عاشها الشاعر وتأثر بها وتأثرا عميقا آنذاك كاغترابه عن حبيبته أو وطنه، أو أشياء قريبة منه.

من بين الشعراء الذين تناولوا هذا المصطلح "لبيد بن ربيعة" في معلقته فهو يرصد شعر الأطلال، يلحظ أن هناك حنيننا دائما إلى الأحبة، وحديثا عن دياره القفرة الخالية، وإحساسا بالغرابة والوحشة، بعد الإنس والحركة والحياة، وقد عبر عن هذا المشهد الشاعر لبيد بقوله:

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلَّها فَمَقامُها بِمَنى تَأبَدَ غَوْلُها فَرِجامُها
دَمَنُ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أنيسِها حِجَجُ نَحْلونَ حَلاها وَحَرامُها
فَعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

⁽¹⁾ أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 07هـ -دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء، عمان، ط1، 2013، 23.

⁽²⁾ ديوان إمري القيس: ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص 49.

بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَرِمَامُهَا⁽¹⁾

تندمج هذه الأبيات ضمن شعر البكاء على الأطلال، حيث يعبر بها عن حنينه الفياض المتوهج إلى دياره التي اغترب عنها وأصبحت تخلوا من الحياة، هذا ما ولدَّ عنده إحساس بالغربة.

يتفق عنتره وامرئ القيس على أن دلالات الاغتراب في شعرهم تجمع بين غربة الوطن وغربة الحبيبة، «فهذا الشاعر "امرئ القيس" يشكوا الغربة في أرض الغربة بعد أن كان يعاني من اغتراب الموت، إذ رأى قبر لامرأة من تبات ملوك الروم هلكت بأنقرة، فسأل عن صاحبها فأخبر بخبرها فقال:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا غريان ههنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ
فإنْ تُصَلِّبِنَا فَالْقَرَابَةُ بَيْنَنَا وإنْتَصِرْ مِينَا فَالْقَرِيبُ غَرِيبُ
أجارتنا مافاتٍ ليسَ يؤوبُ وما هُوَ آتٍ فِي الزَّمانِ قَرِيبُ
وليسَ غريباً مَنْ تَنَاءَتْ ديارُهُ ولكنَّ مَنْ وَاَرَى الثُّرابُ غَرِيبُ⁽²⁾

من جهة أخرى «نجد "عنتره" الذي تمثل شعور الغربة عنده في مجتمع يقيد حرية الفرد خاصة العبد المأمور تحت راية الحب والاستسلام للموقف يقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم أهل عرفت الديار بعد توهم
أعيك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم
ولقد حبست بها طويلا ناقتي أشكو إلي سفح رواكد جثم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي⁽³⁾

تأثر كل من الشاعرين بحب صاحبتهما واغترابهما عنهما، مما تركت في نفسيتهن نوعا من الأسى والحزن ويقصد باغترابها هو الموت أو الجفاء.

⁽¹⁾ الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، تح: فخر الدين قباية، المكتبة العربية، حلب، سوريا، ط1، 1996، ص 195.

⁽²⁾ ديوان عنتره: تح، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، (د، ط)، 1992، ص 182.

⁽³⁾ ديوان عنتره: تح، محمد سعيد مولوي، 182.

فبالإضافة إلى شعراء البكاء على الأطلال، نجد شعراء الانتماء وشعراء المحون الذين يعبرون عن الذات حيث «يتخلى المغترب عن ذاته بتخليه عن كل القيم الدينية والحلقية والروحية الرفيعة، ويتجلى ذلك بوضوح في شعر المحون الذي يكثر في بيوت اللهو ومواطن الفسق والفجور والدعارة، ويتنوع الشعر الماجن، فمنه ما يقال في الخمر والكفر، ومنه ما يقال في البغاء والغلمان، ومنه ما يقال في وصف العورات والمقادير»⁽¹⁾، ينسلخ المرء عن دينه وقيمه الأخلاقية، يتأثر بمحيطه الجديد ويلبس ثوبا غير ثوبه، فيصبح غريبا عن دينه بأقواله وأفعاله، فالاغتراب ينسيه مبادئه، فينصهر في بوتقة جديدة بذاته وروحه.

يرسم الشاعر الجاهلي "طرفة بن العبد" لمحة عن الاغتراب، فبالإضافة إلى اليتيم وما ينجم عنه من آلام، فقد ظلّمه أعمامه وهم أقرب المقربين إليه فأحس بمرارة غربة اليتيم والظلم وقساوتها، وقال مصرحا بشدة مرارة:

وظلم ذوي القربة أشد مضافة
على المرء من وقع الحسام المهند⁽²⁾

يتمحور هنا مصطلح الاغتراب من خلال الطفل اليتيم الذي يفقد حنانة الوالدين التي لا تعوضها عطف الأقارب، فينتج بذلك في نفسيته شعور بالغربة والوحدة والاشتياق، وهذا الشعور يحس به كل من يفقد أو يبتعد عن قريب منه، فيرى نفسه وحيدا بين الجمع غريبا عنهم حتى أنه يكاد يبذهم وينعزل عنهم.

بالإضافة إلى الشعر الجاهلي الذي تناول ظاهرة الاغتراب نجد شعر الفتوحات الإسلامية، فهذا أحدهم يشكو غربته إلى قمرية حزينة مثله في مرو الشاهجان فيقول:

أ قمرية الوادي التي خان إلفها
من الدهر أحداث أتت وخطوب

تعالى أطارحك البكاء فإننا
كلانا بمرور الشاهجان غريب⁽³⁾

لجأ هذا الشاعر إلى الطير (قمرية الوادي) التي تأنس وحدته في غربته لأنه يشعر بأنها الوحيدة التي تقاسمه نفس شعوره، ولذلك فهو يدعوها إلى مشاركتها البكاء والحزن.

اختلف شعور الاغتراب من شاعر إلى آخر، فهنا نجد "مالك بن الريب" يقول حين حضرته الموت وهو مغترب عن بلده بخرسان.

⁽¹⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، (د، ط)، 2000، ص 136.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 81، 82.

⁽³⁾ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج5، (د، ط)، (د، ت)، ص 163.

أليت شعري هل أبيتن ليلة
بجنب العصا، أزجي القلاص النواحيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضَه
وليت الغضا، ماشي الركاب لياليا
ولما تراءت عند مرو منيتي
وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا⁽¹⁾

يشعر المرء حين تنتابه فاجعة الموت بنوع من الارتباك والبعد عن كل قريب له، ففاضت أحاسيسه تشكي شوقه وحنينه إلى الديار وكل ما فيها لاسيما عندما يشعر بعدم قدرته على الرجوع إليها وهذا ما يُجَز في نفسيته وما يزيد عنده الشعور بالاغتراب.

تداول مصطلح الاغتراب في الشعر مختلف الشعراء عبر العصور مروراً بالعصر الجاهلي والإسلامي والعباسي والأموي وصولاً إلى العصر الحديث، ومن بين شعراء هذا العصر الذين تأثروا وأثروا في واقعهم وتركوا بصمة واضحة وعبروا ببراعة في قضايا معاصرة تمسهم نذكر منهم: "بدر شاكر السياب"، فقد عانى السياب من غربة ولدت من رحم ظروف وأحداث، لم يكن له بدءاً فيها كوفاة أمه وهو في السادسة من عمره، فيفتقد بذلك حناناً هو أحوج ما يكون إليه في حياته الأولى، التي تصورها خريفاً طويل الليالي بعدها، يقول:

في ليالي الخريف الطوال

آه لو تعلمين

كيف يطغى علي الأسى والملل!؟

في ضلوعي ظلام القبور والسجين

في ضلوعي يصبح الردى

بالتراب الذي كان أمي⁽²⁾

يجعل الشاعر الموت كطائر يلاحقه، الموت التي اختطف أمه وجعلته يحس بنوع من الغربة والاشتياق والانتظار للوجه الذي مسحته السنون من شدة الألم والوحدة.

⁽¹⁾ عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب، المطبعة السلفية، ج2، (د، ط)، (د، ت)، ص 176-179.

⁽²⁾ محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر - دراسة - اتحاد كتاب العرب، (د، ط)، 1999، ص 07.

صوّر شاعر آخر ظاهرة الاغتراب في العصر الحديث في شعره، وعبر عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي تعيشها الأمة العربية ألا وهو "صلاح عبد الصبور"، الذي صوّر في أشعاره "ملامح الحزن واليأس والكتابة لأنها نقل صادق للواقع المعاش، يقول:

هناك شيء في نفوسنا حزين

قد يختفي ولا يبين

لكنه مكنون

شيء غريب... غامض... حنون⁽¹⁾

يُعبّر الشاعر عن موقفه الراض للحياة، و موقفه الذي أدى به إلى الابتعاد والاغتراب عن الوطن.

نستنتج أن الاغتراب في الكتابة الشعرية اختلفت من شاعر لآخر، وذلك أن الشاعر في القديم يقف على ظاهرة البكاء على الأطلال، أما الشاعر في العصر الحديث، فلم يقف على ظاهرة واحدة وإنما يجسد كتابته الإبداعية للدفاع عن حالته النفسية التي يمر بها.

1-3- الاغتراب في الفلسفة:

اتفق الباحثون في الفكر الفلسفي على أن هيغل (Hegel)، (1770-1831)، هو أول من وظّف مصطلح الاغتراب توظيفا فلسفيا، حيث يرى «الإنسان يضع نفسه عندما يصبح غريبا عنها، أي عندما يفقد حريته ويصبح مصهورا في مجتمع لا يعرف له أي استقلال ذاتي»⁽²⁾، ينتج عنه تضييع الإنسان لشخصيته وخاصة حريته التي يشعر فيها بالأمان، وإذا فقدت عاش غريبا ولو في مجتمعه، فيحس دائما بالنقص في وسط جماعة لا تعرف معنى الحرية والاستقلالية.

أشار "هيغل" أيضا إلى «حالة اللا قدرة أو العجز التي يعانها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فيوظف لصالح غيره بدلا "أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد القدرة على

⁽¹⁾ أمينة بوعلامات: الاغتراب في الشعر الجزائري في الفترة (1925-1950)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

الحديث، إشراف محمد مهداوي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تلمسان (الجزائر)، 2010، ص 104

⁽²⁾ جميل صليبا: المعجم الفلسفي لألفاظ العربية والانجليزية، دار الكتاب اللبناني، ج 1، 1982، ص 765.

تقرير مصيره»⁽¹⁾، يتحدد الاغتراب هنا في تقبل الفرد لمصيره التاريخي، وأن يتماشى معه، دون محاولة منه لتغييره.

❖ "لودويغ فيورباخ" (Ludwing Feuerbach) (1798 - 1851) اهتم بمسألة الاغتراب حيث يرى أن «الذّين هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه، أي الاغتراب الذاتي، بذلك يتصرف الإنسان واضعاً نفسه تحت سيطرة مخلوقاته التي قد تتحكم به بدلا من أن يتحكم بها، فيصبح للإله صورة للكمال ويتحول الإنسان إلى مثال للخطيئة والشر»⁽²⁾، ربط "فيورباخ" الاغتراب بالذّين خاصة، فالإنسان تتحكم فيه غريزته ويكون بذلك معرض للخطيئة والذنب، ما يجعله بعيداً وغريباً عن معتقداته وتعاليمه، تاركا الفضيلة والأخلاق سعياً للردية.

❖ "جون بول سارتر" (Jon Paul Sartre) (1905 - 1980) يعتبر من الذين وظّفوا المصطلح، إذ تطرق في كتابه "الوجودية والعدم" لدراسة علاقات الناس ببعضهم البعض، ويذهب إلى أن «جوهر تلك العلاقات هو التصادم المستمر والتنازع فكل ذات تحاول التحرر من سلطات الغير، فهي تريد أن توجد وتحقق مشروعها الخاص دون اهتمام بمشاعر الآخرين. ومن ثم فالوحدة -حسبه- مع الغير غير قابلة للتحقيق وبالتالي يبقى الإنسان دوماً غريباً عن الآخرين»⁽³⁾، فهو يربط الاغتراب بعلاقة الفرد بالآخر وما ينتج عنها من صراع جراء عدم التفاهم والأناية، وعدم الاندماج معه، وبالتالي يشعر الإنسان بالتغريب والوحدة عن الآخر.

يُوضّح "سارتر" أن «الاغتراب في الذات أمر ناتج عن ظروف الحياة المعاشة في هذا العالم الذي يتسم باللامعنى والعشبية، لأن الاغتراب في مفهومه ما هو إلاّ انعدام الحرية الإنسانية، ونظرة الآخرين في نظره عامل من عوامل الاغتراب على المستوى الفردي، والقهر، والاستبداد والتعذيب والاستعمار وكلها من عوامل الاغتراب على المستوى الجمعي»⁽⁴⁾، فهو يُعالج الاغتراب الذاتي من خلال ما يعيشه من ظروف قاهرة، ينجم عنها فقدان الحرية، بالإضافة إلى معايشة الفرد لذات غريبة عنه وهي تلك الذات التي تفرضها نظرة الآخر.

إذن، يفسر الاغتراب لدى الفلاسفة بانعدام الحرية الإنسانية وأن الفرد يغترب عن ذاته الحقيقية عند خضوعه لسيطرة وضغط الآخر.

(1) جمال معتوق: دراسة سوسولوجية حول الاغتراب، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة سعد دحلب، البلدة، ص 23، 24.

(2) حلّيم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية- متاهات الإنسان بين الحلو والواقع، ص 38، 39.

(3) زهر مساعديّة: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، (د، ط)، 2013، ص 43.

(4) أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 07هـ، ص 22.

1-4- الاغتراب في علم الاجتماع:

عرف الاغتراب حضوره الأول في الفكر الغربي، حيث استعمل من طرف فلاسفة علم الاجتماع، كل حسب فهمه وتأويله للمصطلح، ومن بين أهم الفلاسفة الذين تناولوا فكرة الاغتراب بمفهومه الاجتماعي نجد:

❖ "توماس هوبز" (thomas Hobbes)، (1679 - 1588) أحد أكبر فلاسفة الانجليز خصوصاً في المجال القانوني، ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات والنظريات، من بينها ظاهرة الاغتراب، يقول في ذلك: «إن التخلي، التنازل، الانفصال عن الحق الفردي، وتحويله إلى وجود اجتماعي خارجي بالنسبة للأفراد هو اغتراب من حيث المحتوى»⁽¹⁾، إن غياب حق الحرية للفرد -حسبه- وخضوعه لما تُفرضه السلطة يُدخله في حالة اغتراب لعدم قدرته على تحقيق رغباته الذاتية بسبب عيشه تحت رحمة وقيود الآخر.

❖ "جون لوك" (JohnLocke) (1704 - 1632) يذهب مذهب "هوبز" حيث يرى أن «الإنسان في الحالة الطبيعية يتمتع بالحرية وحق الملكية وهو غير منفصل عنهما ولا يحصل الانفصال إلاّ بظهور الدولة، هذا الظهور يتم عندما يتنازل (يتخلى) الأفراد الأحرار عن حقهم الطبيعي في الدفاع عن الملكية»⁽²⁾، يحمل بذلك دلالة السلب والترك والتخلي عن أملاكه لصالح الدولة المسيطرة والالتزام بقوانينها.

❖ جون جاك روسو (Jonjackrousseau) يعتبر كاتب وأديب وفيلسوف فرنسي، من فلاسفة العقد الاجتماعي، الذين تطرقوا إلى دراسة الاغتراب، حيث عرفه بأن «التسليم أو البيع (...) فالإنسان الذي يجعل من نفسه عبداً للآخر إنسان لا يسلم نفسه إنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل»⁽³⁾، نرى أنه استعمل الاغتراب بمعنيين إيجابي وسلبي أي التسليم والبيع.

فأما الإيجابي فقد حمل معنى الهبة أو التسليم «فأن يُسلم الإنسان ذاته إلى الكل وأن يضحى في سبيل هدف نبيل كقيام المجتمع أو دفاع عن الوطن (...) فهذا اغتراب إيجابي»⁽⁴⁾، يعني تقديم الفرد ذاته للجماعة أو للوطن، وأن يتخلى عن حقه الطبيعي لصالح المجتمع مثل الجهاد.

⁽¹⁾ فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان، ط1، 2008، ص 26.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 27.

⁽³⁾ محمود رجب: الاغتراب سيرة المصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988، ص 58.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 58.

في حين الجانب السلبي أوردته بمعنى البيع وسلب الفرد لشخصيته وذلك «بأن ينظر الإنسان إلى ذاته كما لو كان شيئاً أو سلعة يطرحها للبيع في سوق الحياة، فهذا اغتراب سلبي»⁽¹⁾، يدل على إحساس الفرد بحالة مند الاستبداد والعنصرية، والخضوع للآخر وأنه عضو غير فعال في المجتمع، فاقد لحرية منفصل عن حقه الطبيعي الاجتماعي.

❖ كارل ماركس (KarlMarx)، (1818-1883) فيلسوف ألماني واقتصادي لعبت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع، وتعرض في كتاباته لموضوع الاغتراب رابطا إياها بالعديد من الجوانب السياسية والاقتصادية «والاغتراب عنده يتم بأربع طرق هي الاغتراب ناتج عن العمل، الاغتراب عن العمل ذاته، الاغتراب عن الآخرين، الاغتراب عن النوع الإنساني»⁽²⁾، حدد "ماركس" أربعة جوانب للاغتراب من خلال الوضع الذي يُعانيه الفرد في ظل النظام الرأسمالي، فوجوده مرتبط بالنتائج والفائدة التي يقدمها للعمل والإنتاج، تجعل منه كائنا عاجزا ضعيفا، فتتدن قيمته ليسقط إلى مستوى السلع بحد ذاتها، فيصبح هذا غريباً عنها.

ينتهي "ماركس" إلى أن الاغتراب الاقتصادي أصل جميع المشاكل، وأنه مرهون بزوال الملكية الخاصة «لكنه ما لبث أن اغترب في مجتمعه بعد ظهور الملكية الخاصة وقيام المجتمع الطبقي الذي جرد العمل من غايته الإنسانية عندما تحكمت فيه قوانين الاستغلال التي سيطرت على المجتمع، فهو مغترب طالما يعيش في مجتمع يتحكم فيه النظام الرأسمالي»⁽³⁾.

ينظر "ماركس" للاغتراب على أنه مادي اقتصادي ربطه بمخلفات النظام الرأسمالي، فلإنسان مشاعر وروح، أي أنه ليس مجرد آلة ومادة للاستهلاك والعمل، حيث يرى «أن العامل الاقتصادي أو بالأحرى المادي وحده الذي يمكنه أن يفسر لنا هذه الأخيرة بكل تجلياتها المختلفة، هذا العامل المادي في نظره بمثابة الأساس أو البنية التحتية التي يقوم عليها البناء الفوقي المرتبط أساسا عنده بالوعي وأشكاله: كالدين، الأخلاق، الحقوق، الأيديولوجيا»⁽⁴⁾، إنه يمنح بذلك الأهمية والأولوية للجانب المادي الذي يلعب دور مهم في تحديد علاقة الفرد والمجتمعات التي على إثرها يتوضح الاغتراب.

(1) محمود رجب: الاغتراب سيرة المصطلح، ص 58.

(2) الزهر مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 28.

(3) محمد الهادي بوطارن: الاغتراب في الشعر الرومنسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د، ط)، 2010، ص 39.

(4) وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2013، ص 60.

يؤكد "كارل ماركس" في نظريته الاجتماعية بأن الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج هي التي أفرزت من خلال تقسيماتها للعمل والعمال الظاهرة، ويتضح ذلك في قوله: «إن تقسيم العمل داخل أمة ما يقود أولاً إلى انفصال العمل الصناعي والتجاري عن العمل الزراعي وبالتالي يؤدي إلى انفصال الريف عن المدينة والتصارع بين مصالحها (...). ومن خلال تقسيم العمل داخل مختلف هذه الفروع، تتطور تقسيمات مختلفة بين الأفراد المتعاونين في أنواع محددة من العمل»⁽¹⁾، يتضح من هذا أن الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج تبلورت عنها نتائج سلبية كتقسيم العمل بين العمال وبالتالي تقسيم الإنتاج، وانتقالها من الجماعة إلى الفرد، وظهور مشكل الصراع الطبقي بين الفئة البرجوازية والكادحة، وهذا كله خلف مساوئ اقتصادية واجتماعية من بينها ظاهرة اغتراب العمل.

ثم ينتقل بنا "كارل ماركس" إلى الاغتراب الديني، حيث شكّل الدين موضوع مهم في فلسفته فـ «الدين هو النظرية العامة لهذا العالم خلاصته الموسوعية منطقة في صيغته الشعبية، موضوع اعتزازه الروحي، حماسه، تكريس الأخلاقي»⁽²⁾، يمثل الدين -حسبه- الجانب المادي لكل النظريات المختلفة حيث يصبح الفرد خاضعاً لها، لأنه يسلب حريته بتناقضاته اللامتناهية.

كما يرى "ماركس" «أنه من الممكن تجاوز حالة الاغتراب تلك من خلال تغيير هذا النظام وهو في ذلك يشير إلى الشيوعية باعتبارها الحل الوحيد الذي يمكن من تجاوز حالة الاغتراب»⁽³⁾.

يتضح لنا أن فلسفة "ماركس" مغايرة عن فلسفة "هيغل" لمفهوم الاغتراب، حيث بالغ في فلسفته المادية من خلال حرصه على الجانب المادي على حساب الجوانب الأخرى كالنفسية والاجتماعية المكونة لهوية الفرد، وربطه لجوانب الاغتراب بمخلفات الرأسمالية وملكية وسائل الإنتاج.

❖ "إميل دوركايم" (Emile Durkheim)، (1858-1917) من أبرز الفلاسفة الذين تناولوا مصطلح الاغتراب في الكثير من تحليلاته، ويعتبر من المؤيدين لفكرة "ماركس" حول الاغتراب وعلاقته بالأوضاع الاقتصادية، حيث يتفقان في كون الظروف الاقتصادية وتطورها «قد أدت بالفعل إلى الاغتراب الناتج عن اضطراب المعيار الاجتماعي والأخلاقي، فالاغتراب انبثق عن التحولات الاقتصادية التي طرأت على

⁽¹⁾ وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، دراسة تحليلية نقدية، ص 63.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 74.

⁽³⁾ الزهر مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 30.

المجتمع بصورة فجائية وأدت إلى قلق الفرد من مجتمعه وبؤسه منه⁽¹⁾، إذن، تلعب الظروف الاقتصادية في النظام الرأسمالي دور كبير في فقدان الإنسان قيمته وذاته، مما يجعله محبطاً من المجتمع الذي يعيش فيه، لكونها عطلت المنظومة الأخلاقية وأفسدتها داخل المجتمعات والأفراد.

يُعبّر "دوركايم" عنه بمصطلح الأنومي (Anomie) أي تلاشي المعايير ويعتقد أن «سعادة الإنسان لا يمكن تحقيقها بصورة منهجية، ما لم تكن حاجياته متناسبة مع الوسائل التي يملكها لإشباعها، فإذا كانت الحاجيات تتطلب أكثر مما يستطيع أن ينال أو أنها تُشبع بطريقة متناقضة لما يحقق رضاه»⁽²⁾، فهو يربط بذلك الاغتراب بالأنوميا ويكشف عن الحالات الخاصة للإنسان، إذ يشعر الفرد بسعادة حين تكون متطلباته متوازنة مع الإمكانيات والوسائل التي يملكها، وإذا كانت عكس ذلك يشعر بعدم الاكتمال والنقص.

ثم ينتقل بنا إلى قضية الحرية وارتباطها الوثيق بالاغتراب، إذ يرى أن «اغتراب الفرد مرتبط بسلب معرفته بالعقل الجمعي، وأن المجتمعات البسيطة تنبني على نظام تخضع فيه مصالح الأفراد لمصالح الجموع، وأن الفرد ينظم تفكيره من أجل تحقيق مهام لصالح المجتمع بأكمله»⁽³⁾، يعني أن مصلحة الفرد مرهونة بمصلحة الجماعة، وتكمن غربة الفرد عندما تُسلب حريته وشخصيته وتخضع للجماعة، وهذا التقسيم في العمل يُؤلد تشتت الأفراد فيما بينهم وتغريبهم عن بعضهم البعض، ومن ثمة ظهور المنافسة والصراع والأنانية في العمل، «غياب التماسك الاجتماعي بين الأفراد الذين تجمعهم في العادة أهداف مشتركة قد تؤدي إلى اضطراب وظيفة المجتمع، وربما يُفضي إلى إشاعة من التحلل الاجتماعي وما يترتب على ذلك من إشاعة أنماط سلوكية غير مقبولة»⁽⁴⁾.

فعدم وجود التآزر والتآخي بين الأفراد والمجتمعات، يترتب عنه فقدان التوازن في البنية الاجتماعية، والاختلال الوظيفي، وما يلحقه من مساوئ وسلبيات كالانتحار والعزلة والاضطراب العقلي «إن كل اضطراب في التوازن يُعد دافعاً إلى الموت الإرادي والانتحار هو ما أطلق عليه انتحار الأنومي، وحتى وإن كان

⁽¹⁾ زهرة بن عيش: الغربة والاغتراب في رواية طمعه فرمان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014، 2015، ص 25.

⁽²⁾ فيس النوري: الاغتراب اصطلاحاً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، مج 10، ع 1، ماي 1979، ص 22.

⁽³⁾ زهر مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 31.

⁽⁴⁾ إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب- التمرد- قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص 123.

يُحقق راحة أكبر وزيادة في النشاط العام، فالانتحار هنا حالة قصوى من معاناة حالة الاغتراب أوصلت صاحبها إلى الموت الإرادي (الانتحار)⁽¹⁾.

يؤدي الاغتراب إلى نتائج وخيمة على حياة الفرد ألا وهي الانتحار، فالحالة النفسية التي يعيشها الشخص المغترب سواء في مجتمعه أو ذاته أشبه بالحالة النفسية التي يمر بها الشخص المنتحر من دمار وارهاق وسخط وغضب على القيم الاجتماعية، التي وضعت حداً لحياته ومعاناته.

يمكن القول من خلال ما سبق ذكره لفلاسفة العقد الاجتماعي أن مصطلح الاغتراب تعددت وجهات النظر فيه باختلاف نظرة كل فيلسوف، فهناك من ربطه بالتخلي عن الحق والانسحاب، ومنهم من أضفى عليه معنيين الترك والسلب، ومن هم من ربطه بالانتحار، وهذا انطلاقاً مما عاشوه من غربة في مجتمعاتهم، وحاول كل منهم تفسيرها حسب فهمه وما عاناه من أزمات.

1-5- الاغتراب في علم النفس:

عرفت ظاهرة الاغتراب اهتماماً كبيراً من طرف علماء النفس، لذا كثرت التعاريف حوله فمنهم من قال عنه: «وليس غريباً أن يشعر المرء بالضيق وقسوة الوحدة النفسية والاحساس بالعجز والحيرة فينكفي على (الذات) ويتخذها محوراً لحياته كلها، وذلك لما أنتجه من داخلي وألم نفسي عندما تتسرب بواعث الغربة إلى روحه وتسري في كيانه حتى ليكاد المرء أن يصير غريباً عن كل ما يحيط به، إمّا لعدم استطاعته تحقيق طموحات الذات المستترة أو لضعف القدرة على مواجهة الضغوط الخارجية»⁽²⁾، ينتج الاغتراب النفسي نتيجة مجموعة من العوامل والظروف، التي تترك في نفسية المغترب أثراً عميقاً تجعله يلجأ إلى الذات باعتبارها الحل الوحيد الذي يواسيه عندما تتمزق نفسه من بواعث الغربة، لكن سيواجه مشكلة في هذا الوقت، وهي عدم قدرته على التواصل مع ذاته وإدراكه أو فهمه لها، فيزداد شعوره بالضيق، وخير من مثل هذه الظاهرة:

❖ **سيغموند فرويد (Freud) (1836-1939)**، يعد من أبرز علماء النفس ومؤسسي مدرسة التحليل النفسي الذين تناولوا هذه الظاهرة، حيث نظر فرويد إلى الاغتراب باعتباره الأثر الناتج عن الحضارة، فالحضارة التي أسسها الإنسان دفاعاً عن ذاته إزاء عدوان الطبيعة، جاءت على نحو يتعارض وتحقيق أهدافه

(1) إقبال محمد رشيد صالح الحمادي: الاغتراب- التمرد- قلق المستقبل، ص 126.

(2) علي عبد الخالق علي: ظاهرة الاغتراب وصددها في الشعر المعاصر في منطقة الخليج، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، عدد

ورغباته، يقول فرويد «إن كل فرد في الواقع هو عدو الحضارة ذلك أن الحضارة هي مصدر اغترابه»⁽¹⁾، يرتبط الاغتراب ارتباطاً وثيقاً بالحضارة كون هذه الأخيرة هي سبب اغترابه، نتيجة لمجموعة من الضغوطات التي يواجهها في حياته الخاصة كشعوره بالضيق والقلق نتيجة عدم تلبية حاجياته أو رغباته الدنيوية.

بلور "فرويد" تصوره للاغتراب «باعتباره سمة متأصلة في وجود الذات وحياة الإنسان ولا يتم علاجها إلا بإطلاق الغرائز المكبوتة»⁽²⁾، جعل "فرويد" من الاغتراب لمسة حساسة وميزة متفردة في الحياة البشرية ولا يمكن التحلي عنها إلا بالابتعاد عن الغريزة الموجود في نفسية الفرد.

تعود أسباب الاغتراب عنده إلى قيامه «بأبحاث هامة حول أسباب المستيريا وطرق علاجها وكان في مختلف أعماله يتناول مفهوم اللاوعي، وما يمارسه من سلب الوعي، ويميز فرويد بين العالات العقلية الشعورية والأخر اللاشعورية، فرأى في جملة ما رأى أن أعراض المستيريا تعود كبح أو كبت الميول والرغبات، والتي تحت ضغط الكبت، تتخذ لها أشكال مغايرة وشاذة، تظهر من خلالها وهي نفسها أعراض المستيريا»⁽³⁾، ميز فرويد بين الحالات الشعورية واللاشعورية واكتشف أن سبب المستيريا يعود إلى كبت الرغبات وبالتالي الشعور في النفس بإحساس غريب يجعل الفرد غير متوازي.

❖ فروم (Erich Fromm) (1900-1980)، يرى أن الاغتراب النفسي «هو نمط التجربة يعيش فيها كمركز للعالم وكمحرك لأفعاله، لكن أفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته للذين يطيعهم أو للذين قد يعبدهم»⁽⁴⁾، ربط فروم الاغتراب بالتجارب الإنسانية التي يعيشها الإنسان في حياته، وأنها الأساس والمركز لأفعاله ونتائجها.

يتبين لنا أن هناك اختلاف بين فلاسفة علم النفس حول مصطلح الاغتراب، فهناك من ربطه بالعزلة النفسية والوحدة وهناك من رده إلى الصراع الداخلي النفسي وما نتج عنه من حالات شعورية ولاشعورية. حاولنا من خلال هذه الجولة القصيرة في عالم العلوم المختلفة أن نحيط بمحدود هذا المصطلح ومعانيه، حيث وجدناه يختلف من عالم لآخر لكنه لا يخرج عن التمييز بين وجود الإنسان وجوهره، فالإنسان المغتراب هو

(1) محمد عباس يوسف، الاغتراب والابداع الفني، دار غريب، القاهرة، (د،ط)، 2003، ص 57.

(2) إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب- التمرد- قلق المستقبل، ص 107.

(3) زهر مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 33.

(4) المرجع نفسه، ص 112.

الذي يفقد فعاليته. وبالتالي يحس بنوع من الانقسام في شخصيته، هذا ما أدى به إلى الغربة والابتعاد نتيجة أسباب نفسية أو غيرها....

2- أسباب الاغتراب:

يُعد الاغتراب بوصفه ظاهرة كالظواهر الأخرى لها أسباب ودوافع، حيث تعددت وتنوعت أسبابه التي دفعت بمختلف الشعراء والأدباء خاصة والمجتمع عامة، إلى تذوق هذه المعاناة القاسية نذكر منها:

1-2- الارتحال في طلب الرزق:

أصبحت ظاهرة الاغتراب من الأمر اليسير، وخاصة قديما عند أهل البدو، حيث أنّهم عندما يحسون بنقص معيشتهم يلجؤون إلى الارتحال طلبا لكسب الرزق «حين يقل الماء والكلاء يصبح الرحيل ضرورة لا مفر منها، ونحن نعرف أن البدو يقيمون ما توفرت هذا العنصران، وإلا فإنّهم يرتحلون بحثا عنهما»⁽¹⁾، فعندما يشعر الفرد بضغوطات سواء مادية أو اجتماعية تجعله يثور على واقعه المرير والبحث عن عيشة وحياة أفضل تؤمن له مستقبل زاهر وتلبي جميع حاجياته ومتطلباته اليومية.

فإن عسر الحال «يحيل الحياة إلى ضيق حتى لو في وطنك وإن قصر اليد وفقر الجيب يدفعك للغربة والبعد عن الوطن (...). والفقر في الوطن غربة»⁽²⁾، يلعب عامل الفقر دور مهم في هجرة الفرد وتغربه عن وطنه، وقد ظهر هذا الدافع بكثرة في قصائد الشعراء من خلال البكاء على الأطلال، «سار الكثير من الشعراء على هذا التقليد في بكاء الأطلال، ومرّد ذلك أنّ الظروف كانت تفرض عليهم الرحلة عن أماكن أفوها وشهدت ذكريات عزيزة على قلوبهم»⁽³⁾، نلتمس من خلال المعنى أن الاغتراب ينتج نتيجة حتمية ترك الديار والبحث عن لقمة العيش، إذ برزت بكثرة في المقدمات الطللية التي توحى إلى الغربة والوحشة.

2-2- فقدان الأهل أو الخلان:

يشعر الإنسان بالغربة عندما يفقد شيء مهم في حياته، وخاصة إن شخصا عزيزا عليه كالوالدين والأحباب حيث «إذا فقد الإنسان حبيبا فإنّته يشعر حتما بغربة عميقة وهذا ما تجلّى عند ذي الرمة يقول:

⁽¹⁾ لزهر مساعدة: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 85.

⁽²⁾ مهند سعد: الغربة والاعتراب في المفهوم العربي والأدب الفلسطيني، شبكة ومنتديات عاند، ص 06.

⁽³⁾ المرجع السابق، ص 85.

عَشِيَّة مَالِي حِيلَةَ غَيْرَ أَنِّي بَلَقَطُ الْحَصَى وَالْخَطَّ فِي التَّرَابِ مُوَلِّعٌ
أَخْطُ وَأُحْوِ الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بَكَفِي وَالْعُرْبَانُ فِي الدَّارِ مُوَقَّعٌ⁽¹⁾

يولد هذا الشعور عادة عند موت الأحبة وفقدانهم، فالشاعر أتى إلى ديار الأحبة فوجدها خاوية، فتملكه الحزن والأسى على فراقهم، واصفا ذلك بمشهد التقاط الحصى والكتابة على التراب، والتي تحمل في الكثير من الأحيان دلالات الحزن والمهم والشُرود.

2-3- الخلع:

تمثل ظاهرة الخلع في تخلي القبيلة عن أنبائها في حالة مخالفة تقاليدها، وانتشر هذا النوع بكثرة في العصر الأموي، نتيجة التقاليد الاجتماعية التي أثرت في تكوين الطبقة في المجتمع، من بينها طائفة الخلعاء «الذين تخلت عنهم قبائلهم إثر جناية أو عمل مهين، إذ أصبح وجودهم في قبائلهم شرا لا يطاق، فخلعتهم وتبرأت منهم»⁽²⁾، فحوى القول أن ظاهرة الخلع من مسببات الغربة، حيث أن الفرد يتعرض للرفض وعدم القبول والاندماج من طرف بيئته وقبيلته، وفي كثير من الأحيان يتعرض للطرد، فينتج عن هذا كله الشعور بالتمزق والضياع والتغريب «فهم منفيون عن أهلهم وذويهم ومبعدون عمّا ألفوه واعتادوه»⁽³⁾، تكمن غربتهم في خلعهم ورفضهم لنظام القبيلة، والثورة على القيم الاجتماعية وعدم انسجامهم معها.

2-4- الجهاد في سبيل الله:

شهد العصر الإسلامي فتوحات وغزوات كثيرة، لأجل نشر الدعوة الإسلامية والرسالة السماوية، فاقتضت على المسلمين الخروج من ديارهم من أجل الجهاد في سبيل الله، وتمخض عن ذلك ابتعاد «الفاتحون عن أهاليهم وذويهم وبيئاتهم التي ألفوها ووجدوا أنفسهم في بيئات تختلف عنها فشعروا بالغربة والوحشة»⁽⁴⁾، يتوضح لنا أن الاغتراب يكمن في ترك الوطن والانفصال ومفارقة الأهل والأحبة سعياً للجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية، فلم يجد الشاعر إلا الكتابة كحل للتعبير عن غربته الداخلية في قصائد عديدة أو ما تعرف بشعر الفتوحات.

⁽¹⁾ مهند سعد: الغربة والاغتراب في المفهوم العربي والأدب الفلسطيني، ص 86.

⁽²⁾ محمد رضا: الصعاليك في العصر الأموي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 08.

⁽³⁾ زهر مساعدة، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 86.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 86.

2-5- الزهد والتصوف:

شاعت عند العرب قديماً ظاهرة الزهد والتصوف وهي ظاهرة نفسية، كان لها أثر كبير في حياة الجماعة، ونتج عنها اغتراب روحي، فالتصوف ينعزل عن الناس وينفرد عنهم لطاعة الله «فينصبّ جل اهتمامه بدار البقاء (...) وأبرز هؤلاء "الحلاج" و"رابعة العدوية" التي أفقت من سباتها في الإثم والمعصية فاعتزلت الناس وتوجهت إلى الله»⁽¹⁾، يتضح أن دلالة الاغتراب في الفكر الصوفي ترجع إلى بعد المتصوف أو الزاهد عن ملذات الدنيا والتفرد في العبادة والمهروب من زيف الحياة، كما تجلت بكثرة في أشعارهم «أصبح للزهد شعراء مختصون هجروا ملذات الدنيا وانقطعوا للعبادة فأفردوا شعرهم للزهد»⁽²⁾، إذن تعد غربة الزاهد غربة روحية داخلية.

2-6- التشرد والنفي:

يعد التشرد والنفي والمطاردة من أسباب ودوافع الغربة، إذن «كلها من دواعي الغربة إذا كانت من الأهل فما بالك إذا كانت من العدو، فلا بد للمنفى أو المتشرد أو المطارّد أن ينجو بنفسه من الأخطار التي تلاحقه فيحس حينها بشدة الاغتراب (...) أبو قطيفة الذي نفاه ابن الزبير إلى الشام يقول:

أقر مني السلام إن جئت قومي وقليل لهم لدي السلام
أقطع الليل كله باكتئاب ونفير فما أكاد أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار وحادت عن قصدنا الأحلام»⁽³⁾

يشعر الفرد بإحساس الأرق الشديد والوحدة الناجمة عن بعده عن وطنه وقومه، وعن مصيره المجهول الذي يلاحقه فينتابه الحزن والكآبة.

⁽¹⁾ لزه مساعديّة، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 87.

⁽²⁾ سراج الدين محمد: الزهد في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 6، 7.

⁽³⁾ مرجع السابق، ص 88.

2-7- الأسر:

يجد الإنسان نفسه مقيدا وأسيرا «إذا وقع المحارب بين أيدي الأعداء فإنه لن يجد منهم إلا السجن والعذاب، ولن يحس إلا بالمهانة والضياع، ويشتد اغترابه حين يتذكر ما كان عليه من حرية وعز»⁽¹⁾، يتمظهر الاغتراب ممّا يعانیه الأسير أو الشخص المعذب داخل سجون الأعداء وما يتلقاه من وسائل التعذيب والقمع والإهانة، فيزيد من عذابه وغرْبته، والبحث عن الأمان والاستقرار خارج هذه الجدران.

يتبين لنا تعدد وتنوع أسباب غربة الإنسان البدائي جراء الظروف البيئية والاجتماعية التي دفعت به إلى الهجرة، وجعلها السبيل الوحيد للأمان والاستقرار، فمنه من تغرّب بحثا عن لقمة عيشه، ومنه من اتخذ الغربة للدفاع والجهاد في سبيل الله، ومنه من جبرته الظروف كالحلع والأسر والمنفى.

بعدها تفحصنا أسباب الاغتراب في العصر القديم من طلب الرزق والمنفى والحلع، نجد أسباب مغايرة في العصر الحديث وتتماشى مع متطلباته سنحاول إيراد أهمها:

2-8- الأسباب السياسية:

يعد هذا السبب من أهم الأسباب والعوامل التي يقودنا إلى الاغتراب نتيجة الممارسات السلطوية القمعية التي تمارس ضد الأفراد والدول، «ويستدعي هذا الحديث عن السلوك السياسي الذي يمارس ضد الإنسان وهو القمع السياسي الذي تنتجه السلطة الديكتاتورية خاصة المثقف الذي يشكل الخطر الرئيسي على وجودها لآته الوعي الحقيقي المناقض لها»⁽²⁾، نفهم أن الدولة بقوانينها وتنظيماتها تمارس القمع والتسلط ضد أفرادها وشعبها، خاصة الفئة المثقفة التي تشكل تهديدا على سياستها الديكتاتورية من خلال التمرد على النظام ونشر الوعي بين العقول، فينتج عن هذا كله شعور الأفراد بعدم الأمان والاستقرار والتعذيب.

2-9- الأسباب الاجتماعية:

باعتبار الإنسان كائن اجتماعي فإنه يتأثر بالعوامل البيئية والاجتماعية التي تحيط به، ولنلخصها في مجموعة نقاط:

- «إضطرابات التنشئة الاجتماعية.

⁽¹⁾ لزهرة مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 88.

⁽²⁾ سليمان حسن: مضمرة النص والخطاب، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د، ط)، 1999، ص 200.

- مشكلة الأقليات ونقص التفاعل الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية السالبة والتفرقة في المعاملة وسوء التوافق المهني وعدم منافسة العمل للقدرات وانخفاض الأجور⁽¹⁾، نلاحظ أن معيشة الفرد من فقر وعنصرية والصراع الطبقي، إضافة إلى تدني المستوى المعيشي من كل الجوانب، شكل عائقاً لطموحاته وحاجزاً لأماله تجعل منه غير قادر على التغلب على مختلف مشاكل حياته ما يجعله مغترباً.

2-10- الأسباب النفسية:

تعد أهم الأسباب الكامنة وراء إحساس الشخص بالتغريب سواء مع نفسه أو مجتمعه أو في دينه، وتتمثل في:

«الصراع: ويكون بين الدواع والرغبات المتعارضة مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق واضطراب الشخصية.

الإحباط: يرتبط بالإحباط بالشعور بخيبة الأمل والفشل والعجز التام والشعور بالقهر وتحقير الذات.

الحرمان: حيث تقل الفرصة لتحقيق دافع أو اشباع الحاجات كما في حالة الحرمان منذ الرعاية الوالدية والاجتماعية⁽²⁾، تلعب الحالة النفسية للشخص دوراً مهماً في اثناق الاغتراب وتموضعه في نفسية الفرد، وما يسوده أيضاً من شعور بالإحباط والحرمان والصراع النفسي.

2-11- الأسباب الاقتصادية:

يكتسب الفرد إحساساً بالعجز والضعف عند وقوعه في أزمة اقتصادية خانقة، «إذ أن الشخص حين يقع في مشكلة اقتصادية كبيرة، فإن ذلك يدفعه إلى الإحساس بالعجز، وهو الذي يقوده إلى الاغتراب والاحساس بالغرابة في مكانه وموضعه، الأمر الذي يؤدي به إلى التمحور حول ذاته، وربما قاده ذلك إلى مشكلات نفسية كبرى، قد يكون الاغتراب واحداً من أهمها وأبرزها⁽³⁾، ارتبط الاغتراب لحد كبير بالأزمات الاقتصادية المالية الخانقة، التي تصيب الإنسان عادة، فتضعه في دوامة كبيرة من الضغوطات والعجز، بالإضافة إلى الثغرات الاقتصادية الناتجة عن التحول من نظام اقطاعي إلى نظام رأسمالي «اضطراب الطبائع الاجتماعية ولا يصبح

⁽¹⁾ ولد الصديق ميلود: الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2015، ص 69.

⁽²⁾ ولد الصديق ميلود: الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، ص 70.

⁽³⁾ إسكندر نبيل رمزي: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988، ص 40.

التكوين القديم مناسباً للمجتمع الجديد ما يزيد من شعور الإنسان بالاغتراب واليأس⁽¹⁾، يؤدي اختلاف طبقات المجتمع إلى ما يعرف بالصراع بين البرجوازية والطبقة الكادحة، وسيطرت الرأسمالية البرجوازية على الإنتاج والثروات، وإحساس العمال الاستبداد والاحتقار والعبودية، إذن فكلما قل المستوى الاقتصادي للأفراد قلَّ معه مستوى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي ازدياد شعور الاغتراب لديهم الناتج عن هذه الثغرات في المستوى.

2-12- الأسباب الدينية:

ترجع بكثرة إلى ضعف الوازع الديني والبعد عنه، وهذا كله ناتج عن انفصال الفرد عن حياة الله وانقطاعه عن تعاليم الدين الإسلامي وهذا ما يتضح في البيت الشعري "للمعري" قائلاً:

دَعَا لِي بِالْحَيَاةِ أَخُو وَدَادِ رُوَيْدَكَ إِنَّمَا تَدْعُو عَعِيًّا
وَمَا كَانَ الْبَقَاءَ لِي اخْتِيَارًا لَوْ إِنَّ الْأَمْرَ مَرُودٌ إِلَيَّ⁽²⁾

يُعدُّ الزهد لدى الشعراء شكلاً للاغتراب، من خلال خُلُوقهم مع ذواتهم والابتعاد عن مخالطة الجماعة. فنجد في قول آخر:

لا تُشرفن بدنيا عنك معرضة فما التشرف بالدنيا هو الشرف⁽³⁾

يدعوا الشاعر إلى الانصراف عن ملذات الدنيا ويؤكد على خلو الدنيا من الخير والصفاء، لذلك يجب على العبد أن يزهّد في الحياة. إذا فالأسباب متعددة ومتغيرة وجامعة للمعنى والدلالة المشتركة ألا وهي الاغتراب بأشكاله المختلفة.

3- مظاهر الاغتراب وأبعاده:

بما أن ظاهرة الاغتراب متعددة الأبعاد والدلالات فإنه يتضمن مظاهر عديدة، وربما كانت تصنيفات

"سيمان" "Ciman" هي الأبرز نذكر أهمها:

⁽¹⁾ عبد المختار محمد خضر: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب، القاهرة، (د، ط)، 1999، ص 53.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، تح: مجموعة من الأخصائيين، منشورات محمدعلي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، (د، ط)،

2001، ص 873..

⁽³⁾ شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، ط 3، (د، ت)، ص 113.

3-1- العجز (gowrlessness):

يشير معنى هذا المصطلح في مفهومه إلى «شعور الفرد بأنه يعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته (...)» ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته، أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع⁽¹⁾، يمكن القول بأن: العجز هو فقدان الفرد لقدرته وثقته بنفسه، وبالتالي إحساسه بنوع من الضياع والرضوخ، وفشله في تحقيق مستقبله وإثبات وجوده.

3-2- اللامعنى (Measingtesshe):

يقصد به «إحساس الإنسان المغترب أنّ الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش الحياة التافهة واللامبالاة»⁽²⁾، تصبح حياة الفرد عبثاً لا معنى لها، ولا قيمة لوجودها عندما يُراوده إحساس بغربة داخلية، تقتل وتحطم أحلامه التي جعلت من الحياة تافهة وفوضوية.

3-3- اللا معيارية (Normlessness):

تعني وصف الحالة التي تُصيب المجتمع، وتعرف بحالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وقد تبين أن اللامعيارية في نظرية "دوركايم" تشير إلى «حالة اضطراب تصيب النظام "Order" أو حالة من انعدام الانتظام "De régulation" أو التسبب، تنجم عن أزمات اقتصادية (...) تؤدي إلى الانحراف»⁽³⁾، ينشأ هذا المظهر عندما تتفكك القيم والمعايير الاجتماعية وتفشل في السيطرة على السلوك الفردي وضبطه، فيشعر الفرد بضياع القيم والمعايير.

تعرف أيضاً بمصطلح الأنوميا «وهي حالة تصيب المجتمع أي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، كما يقول "سيمان": الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك أصبحت مرفوضة اجتماعياً غدت مقبولة اتجاه أي أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواباً، وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطق إضفاء صيغة الشرعية على المصلحة الذاتية

⁽¹⁾ يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص 18.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 18.

⁽³⁾ سامية محمد جابر: سوسيولوجيا الانحراف، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، 2004، ص 21.

للفرد وحجمها عن معايير وقواعد وقوانين المجتمع»⁽¹⁾، تأثر المجتمعات بالحضارات الغربية أدى إلى انقسام وتشقت الأفراد بسبب انعدام المعايير والقوانين التي تحكم المجتمع.

3-4- العزلة الاجتماعية (social isolation):

تعرفها "يوج جير فيلدوفان" (jonggiverveld) أن «العزلة الاجتماعية هي مدى ما يشعر به الفرد من وحدة، وانعزال عن الآخرين، وابتعاد عنهم، وتجنب لهم، وانخفاض معدل تواصله معهم، واضطراب علاقته بهم، وقلة عدد معارفه وعدم وجود أصدقاء حميمين له»⁽²⁾، تعني بذلك انعزال الفرد عن الجماعة وعدم التفاعل والتجاوب مع محيطه الاجتماعي، مما ينجم عنه نقص التواصل وقلة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والشعوب، فيولد اغتراب نفسي لدى الفرد، ونتمنها بتعريف آخر مشابه وجامع وهي «احساس الإنسان بالانعزال التام أو الجزئي عن المجتمع الذي يعيش فيه، وسواء كانت هذه العزلة ثقافية أم غير ذلك، كما يُحس الفرد بأنه غير قادر على التكيف ضمن هذا المجتمع، والعيش فيه ضمن أطر الحياة المختلفة كما يريد، وإنما يبقى إحساسه متلخصا في طبيعة هذا الانعزال الاجتماعي»⁽³⁾، يعتبر الإنسان كائن اجتماعي بطبعه يتفاعل مع أفراد مجتمعه، فإن أحس بغرابة اتجاههم فإنه يعيش بمعزل عنهم، ويفقد بذلك انتمائه الاجتماعي.

3-5- التمرد (rebelliousness):

يقصد به «شعور الفرد بالرفض والكراهية لكل ما يحيط به مما يدعو لممارسة العنف، حيث وجود نزعة تدميرية تنتجه إلى خارج الذات في شكل سلوك عدواني»⁽⁴⁾، يتولد الاغتراب نتيجة إحساس الفرد بنوع من القلق وعدم القبول، والازعاج لما يعيشه من ظروف صعبة تحتم عليه الثورة والانقلاب، والانعزال عن الجماعة. يرى "سيمان" أن التمرد «يمثل أحد أبعاد الاغتراب الذي يظهر في شكل سلوك غاضب يتصف بالعداء والازدراء والشعور بالمرارة من كل ما اصطاح عليه المجتمع من قيم ومعايير»⁽⁵⁾، من خلال هذا القول يتضح أن

(1) سامية محمد جابر: سوسولوجيا الانحراف، ص 18.

(2) سلاطية بلقاسم: الاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين، دراسة ميدانية على عينة من طلبة القطب الجامعي بسكرة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع11، جوان 2013، ص22.

(3) قيس النوري: الاغتراب مصطلحا ومفهوما وواقعا، ص 18.

(4) زليخة جديدي: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة واد سوف، ع8، جوان 2012، ص 353.

(5) محمد عباس يوسف: الاغتراب والابداع الفني، ص 25.

التمرد ناتج عما تفرضه المجتمعات، وما تفرضه من عادات وقيم والمعايير التي لا تخدم الفرد تكون له بمثابة قيود وعراقيل لتقدمه، تجعله رافضا ومنقلبا عن تلك الأوضاع.

إذن يحمل الاغتراب في هذا المظهر أشكال التمرد والطغيان ومخالفة المعايير والقيم الاجتماعية الطاغية.

3-6- اغتراب الذات (selfslarangement):

تعرف على أنها «حالة يُدركها الفرد عن ذاته كمغترب أي أنه أضفى نافرا أو مغتربا عن ذاته وأصبحت الذات أداة مغتربة لا تعرف ماذا تريد، وهي عدم القدرة على التواصل الفرد مع نفسه»⁽¹⁾ أصعب شعور يختلج الإنسان هو إحساسه بالغربة الذاتية النفسية، فتصبح ذاته غريبة عنه، وإذا فقدتها فقد معنى الحياة ولذّة العيش مع الآخرين.

يشير هذا المظهر إلى «ما ينطوي عليه الفرد من أحاسيس تقود إلى عدم رضاه عن نفسه، وشعوره بأنه منفصل عن ذاته (...). ربما كانت هذه المشاعر نتيجة لحالات مرّ بها الإنسان في سنوات عمره الأولى بقيت في مكنوناته الداخلية وأخذت بالتأثير في عناصر الحياة لديه»⁽²⁾، يزيد عن المعنى الأول أنه يتشكل نتيجة مجموعة العوامل والانفعالات الحسية التي مرّ بها الفرد، مما تجعله في معزل عن الذات.

3-7- الا هدف (Sans but):

يحمل في معناه أن «الحياة تمضي بغير هدف أو غاية، ومن ثم يفقد الفرد مبرر وجوده، فلا يرى جدوى من حياته ولا معنى ولا فائدة من مواصلة الحياة»⁽³⁾، شعور المرء بأن الحياة لا قيمة لها نظرا لخلوها من الأهداف والطموحات، وافتقاده إلى الهدف الواضح والمحدد لحياته، وليست لديه أي طموحات مستقبلية وإنّما يعيش لحظته الراهنة فقط.

(1) زليخة جديدي: الاغتراب، ص 353.

(2) قيس النوري: الاغتراب مصطلحا وواقعا، ص 16.

(3) محمد عباس يوسف: الاغتراب والابداع الفني، ص 25.

زد على ذلك «هو شعور المرء بأن حياته دون وجود هدف أو غاية واضحة ومن ثمة يفقد الهدف من وجوده ومن عمله ومن نشاطه وفق معنى لاستمرار في الحياة»⁽¹⁾ إذن، فالحياة إذا لم تكن مرتبطة بهدف فهي كلها عبثية ولا معنى لها، كما نفهم من هذا أن مظهر ألا هدف متداخل مع مظهر ألا معنى.

يمكن القول بأن هذه المظاهر أهمها التي أوردها "سيمان"، قد تجتمع كلها في شخصية أو بعضها فقط لتجعل من الفرد مغترباً، وتجدر الإشارة أيضاً إلى بعض أبعاد الاغتراب تؤدي إلى تكوين اغتراب داخلي لدى المرء (الاغتراب عن الذات، اللامعنى، اللاهدف).

4-أنواع الاغتراب:

تمخضت ظاهرة الاغتراب الإنساني عن الظروف التي عاشها منذ القدم، لذا اختلف الباحثون على حصر أنواعها سنحاول جمعها في:

4-1-الاغتراب المكاني:

يتمثل في المشاعر والأحاسيس الناتجة جراء انتقال الفرد من مكان لآخر، ويعتبر هذا النمط من أشهرها وأكثرها ظهوراً في التاريخ، إذ أحدث «المكان في كيان الشاعر المغترب فجوة نفسية، وصرخة مؤلمة، عبّرت عن الواقع غير المنسجم مع الذات، إذ نلمس خلف أستار المكان صيحات دفيئة توحى بمعاناة التوتر والاضطراب والقلق»⁽²⁾ إذن، نجد تعلق الإنسان بأرضه وبوطنه كثيراً، وتبرز هذه الحقيقة خاصة حين يعيش تجربة الاغتراب المكاني، فتتولد بداخله هواجس الحسرة والحنين، فغالباً يحمل معنى «بعد الشاعر عن وطنه وحنينه إليه (...). في قول الشاعر:

جُرْحُ التَّغْرَبِ فِي فُوَادِي بِالْغُ
أَلْقِي عَلَيْهِ بَلْسَمَ النَّسِيَانِ
فَتَفَجَّرَ النَّسِيَانُ عَنْهُ وَأَصْبَحَتْ
لِلجُرْحِ تُهْمَلُ بِالذَّمِّ عَيْنَانِ⁽³⁾

(1) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، 2003، ص42.

(2) أحمد عي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن7هـ، ص 85.

(3) عدنان أشكوري: ملامح الاغتراب في شعر أحمد الصافي النحفي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع4، (د، ت)، ص 541، 542.

يصف الشاعر معاناته جراء غرבתه المكانية، وشوقه الدائم للعودة إلى وطنه وأهله، حيث لم يعد صبره يسع الاحتمال، فالشاعر حين يقع في تناقض مع العالم المحبط به بمكوناته المكانية والزمانية فإنه يُصبح غير قادر على تشكيل هويته التي يطمح إليها أو يثبت انتماءه الاجتماعي.

4-2- الاغتراب الزماني:

يتصف بالغموض فهو «يُعد من الأمور الغامضة لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضاً من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت، أما الزمان فمتغير، وبالتالي فتأثيره النفسي على الإنسان أكثر غموضاً أيضاً فالإنسان قد يشاهد شيئاً معيناً، أو يحس بإحدى الحواس الخمس، أو بأكثر من حاسة واحدة، بينما يحتاج الإحساس بالزمن على الحاسة الفكرية أو الذهنية»⁽¹⁾، يلعب الاغتراب الزماني دور مهم في التحكم في نفسية الفرد لأن الزمن في تغيير مستمر، فمع هذا التغيير تبقى الحالة النفسية والشعورية للفرد في اضطراب والاضطراب الدائم، وتبعاً لهذه التقلبات التي رافقت طبائع الناس وسلوكهم، نجد أنها قد رافقت أغلب الشعراء أيضاً، حيث راحوا يذمّون الزمان وظروفه «إذ شكى الشعراء الزمان وظروفه تدفعهم حياة الشقاء والحرمان والمحن والخطوب التي أملت بالناس والمجتمع فضلاً عن الاخفاقات المتكررة نتيجة الضيق بأخلاق الناس وسلوكهم (...). فكان الشعراء يُحملون الزمان الكثير من نزاعاتهم النفسية المتولدة بفعل الانتكاسات»⁽²⁾.

مثّل الاغتراب الزماني نمطاً آخر من الاغترابات التي شهدتها الإنسان وعاش معها بوصفه قوة فاعلة ومؤثرة في الإنسان، فيغترب بذلك عن زمانه المعاش وهو شعور «المرء بأنه لا يعيش في الزمان المناسب، وأنه ينبغي أن يكون في عصر غير عصره يضمن له كرامته ويصون له حقوقه (...). وغالباً ما يتمثل الاغتراب الزماني في حين الشاعر إلى سالف الأزمان وبالتحديد عهد الشباب والصبا والطفولة»⁽³⁾، يُمكن القول إن كل إنسان يحمل معه اغتراب زماني وذلك حينما يعود إلى الماضي بالذاكرة لأيام الصبا والطفولة فهذه العودة تعد اغتراب زماني.

(1) يحيى عبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص25.

(2) أحمد علي الفلاح: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 07هـ، ص 75.

(3) عدنان أشكوري: ملامح الاغتراب في شعر أحمد الصافي النحفي، ص 543.

4-3- الاغتراب النفسي:

سُمي أيضا باغتراب الذات، حيث يُعد من أبرز مراحل الاغتراب ونواة لجميع الاغترابات، فهذا النوع يُنتج عن تخلي الفرد عن الآخر وعن الذات في نفس الوقت فيفقد الاحساس بالوجود نظرا للأوضاع التي يعيش فيها أو إلى «الحالات التي تتعرض فيها وحدة الإنسان الشخصية للانشطار أو للضعف والانهيار بتأثير الاعمال الثقافية التي تتم داخل المجتمع (...). فهو شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو عن الذات أو عن كليهما»⁽¹⁾، يحدث الاغتراب نتيجة للتناقض الذي يحدث في نفسية الفرد سواء كان داخلي أو خارجي فيجد نفسه في صراع.

وهذا الاغتراب ناتج عن «حالات عدم التكيف التي تُعانيها الشخصية، من عدم الثقة بالنفس والمخاوف المرضية، والقلق، والارهاب الاجتماعي، غياب الاحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية»⁽²⁾.

4-4- الاغتراب الديني:

يعتبر الاغتراب الديني من بين المظاهر التي تتوافق مع النفس البشرية فهي لا تجد سوى مذهب وجداني تتجه إليه سوى إيمانها، حيث تنتقل من مرحلة دينية إلى أخرى مجاورة ويعني «نوعا من الاغتراب تحت الحس الديني الطائفي على سطح الشعور والتحول إلى العمق الصوفي أو رفض القيم الدينية»⁽³⁾، فينتج شعور الانفصال عن الذات الإلهية، وعن القيم، فيتجرد منها ويتمرد، وهذا ما يشكل اغترابا بين الذات الإنسانية ومذهبها الديني فنجدها مغتربة حائرة في اتباع الطريق الصحيح.

ورد الاغتراب الديني في كل الأديان ويعني الانفصال عن الله وهذا ما جاء به الحديث النبوي الشريف، حديثه صلى الله عليه وسلم حيث قال «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل ومن الغرباء يا رسول الله، قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»⁽⁴⁾، يتمثل الغرباء في أولئك الصالحون الذين يسعون للجهاد في سبيل الله وطاعته.

(1) فاطمة جمشيدى: ملامح الاغتراب في شعر علي فودة وردود فعله عليها، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ع27، سبتمبر 2017، ص 81.

(2) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 81.

(3) يحيى عبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات طاهر بن جلول، ص 124.

(4) المرجع السابق، ص 101.

انطلق "ابن القيم الجوزي" ليشرح مفهوم الغربة في قوله: «الغربة ثلاثة أنواع، غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق وهي التي مدح رسول الله أهلها وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان آخر ووقت دون وقت وبين قوم دون قوم، لكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقاً، فإنهم لم يروا إلى غير الله ولم ينتسبوا لغير رسوله، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وغربة مدمومة وهي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق فهي غربة بين حزب الله المفلحين... والغربة عن الوطن»⁽¹⁾، تنقسم الغربة في الدين الإسلامي إلى ثلاثة أقسام يمكن أن نصنفها إلى غربة جائزة وصالحة، وغربة مذمومة، وغربة متوسطة الإقناع لا تصلح ولا ترفض وهي غربة عن بلاء.

أما في الوقت الحالي -القرن العشرين- فقد انتشر نوعين من الاغتراب، وهذا من حيث العلاقات القائمة بالمؤسسات الدينية، وكله ناتج عن تفشي الحضارات الغربية في المجتمعات وهما:

«أولاً: ميل إلى الاغتراب من الدين، بمعنى رفض المؤسسة الدينية القصرية، والخروج عليها، وبخاصة في محاولتها مقاومة التغيير، وينعكس مثل هذا في التوجه لدى بعض المثقفين في العصر الحديث، كما يتجلى في مؤلفات شبلي الشميل وعبد الرحمن الكواكبي وجبران خليل جبران، وأمين الريحاني وغيرهم»⁽²⁾، فالاغتراب هنا في هذا القول يتمثل في الابتعاد عن كل القيود التي تفرضها المؤسسات الدينية من تغير.

«ثانياً: اغتراب في الدين بمعنى أن المؤمن المتشدد في إيمانه يسب قواه الذاتية إلى قوى خارج نفسه ويسلمها مصيره باستقلال عنه، وينعكس ذلك في توجهات بعض الحركات السلفية مند بداياتها بخاصة، كما يبرز في مؤلفات "ابن تيمية" الذي قال بحق الحاكم أن يفرض الطاعة على رعاياه وواجب الرعايا أن يمتثلوا لإرادة الحاكم حتى ولو كان ظالماً بحجة أن ذلك خير من الفتنة وأنحلال الأمة...»⁽³⁾

نستنتج من خلال هذا المقطع أن المسلم الحقيقي هو الذي يتعد عن كل التغيرات التي تفرضها الحركات الدينية الأخرى ويحتفظ بإيمانه في ذاته، وبالتالي لن يتبع الآراء التي تفرضها الجماعات السلفية الأخرى.

(1) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2006، ص 255-258.

(2) حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص 125.

(3) المرجع نفسه، ص 125.

4-5- الاغتراب الاجتماعي:

يصيب الفرد أحيانا إخفاقات كثيرة تحول دون تأقلمه مع أفراد الجماعة، مما يؤدي به إلى البعد والعيش عن معزل عنهم، نتيجة الظروف السائدة أو الأوضاع المزرية، فيصبح بذلك عاجزا عن تحقيق متطلبات المجتمع، فـ «شعور الفرد بالضعف والعجز إزاء المواقف المصيرية في حياته وشعوره بأن القيم السائدة غير ذات معنى بالنسبة له، أو هو الغريب عن جماعته الاجتماعية وتنظيمات الحياتية»⁽¹⁾، يحس المرء بالوحدة والتغريب حين يتملكه الضعف والانعزال والانسلاخ عن مجتمعه، بالإضافة إلى تقييد حريته والرضوخ للعادات والتقاليد السائدة التي تقرر مصير حياته، إذ تصبح الفجوات الموجودة بين الفرد ومجتمعه تؤدي به إلى غربة اجتماعية.

شهدت المجتمعات والأمم هذا النوع بكثرة نتيجة لعوامل ومسببات حالت بتفشيهِ وظهوره، «أدى التفاوت الطبقي إلى شيوع ظاهرة الاغتراب بين الطبقات الاجتماعية وقد عبّر عنه الشاعر "الثُميري" في شكوى يقول:

أزرى بأموالنا قوم أمرتهم بالعدل فينا فما أبقوا وما قصدوا
نعطي الزكاة فما يرضى خطيبهم حتى تُضاعف إضعافا لها عدد
أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سيد
واحتل ذو المال والمثرون قد بقى على التلاتل من أموالهم عقد»⁽²⁾

تعد العنصرية والصراع الطبقي بين الأفراد من أسباب ظهور الاغتراب الاجتماعي، كما نجد أيضا عامل الفقر والحرمان الذي أسهم بظهوره، حيث يقول أحد شعراء الصعاليك:

وحتى رأيتُ الجوعَ بالصيف ضربني إذا قمتُ ظلال فأسد ف⁽³⁾

⁽¹⁾ أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 07 هـ، ص 25.

⁽²⁾ محمد الهادي بوطارن: الاغتراب في الشعر العربي الرومسي، ص 70.

⁽³⁾ فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مديولي، ط1، 1991، ص 100.

يُحس الفرد أنّ غريب عن قومه إذا لم يتلقى المساعدة والاهتمام من طرف مجتمعه وهو بأمس الحاجة لهم، فهذا النوع منتشر بكثرة بين المجتمعات، فهناك من ينعزل عن مجتمعه، وهناك من ينفصل عن العادات والسلوكيات الخاصة لدى المجتمع.

4-6- الاغتراب العاطفي:

تتوضح إرهاباته في الانفصال والبعد بين الأحبة والأصدقاء، فظهرت بذلك مشاعر الغربة والوحشة والفقْد لدى الأفراد خاصة شعراء الغزل بكثرة " يمكن أن نلمس ظاهرة الاغتراب في الشعر العاطفي من خلال الغزل العُدري، باعتبار شعراء هذا اللون، يحجمون ويتعدون عن الموضوعات التقليدية.

وَي من هوى ليلي هوى لو أبتَه ولو كان أعدى الناس لي كان ينجح
هوى لم تغيره الحروب ولم يزل على عهد ليلي أو يزيد فيربح⁽¹⁾

نلمس الاغتراب من خلال فقدان الشاعر لحب محبوبته، ووجود القيود القبلية التي حالت بينه وبين حُبه، ومُحاولته لكسر هذه القيود والفوز بمحبوبته.

يزيد الشوق والحين للشاعر اتجاه محبوبته، ويهتف قائلاً:

مَتى يَشْتَفى مِنْكَ الْفؤادُ الْمَعذِب وَسَهْمُ الْمَنايا فِي وَصالِكَ أَقْرَب
فَبَعْدُ وَوَجَدَ وَاشْتِياقَ وَرَجْفَةَ فَلَ أَنْتَ تَدِينِني وَلا أَنَا أَقْرَب
كَعَصْفورَةٍ فِي كَفِ طِفْلِ يَضْمُها تَذوقُ حِياضِ المَوتِ وَالطِفْلِ يَلْعَبُ
فَلَ الطِفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِمَا بَها وَلا الطَيْرُ ذُو ريشٍ يَطيرُ فيذَهبُ⁽²⁾

يصف لنا تجربة حُبه، التي شعلت في جوفه نار الشوق والغربة لمحبوبته، ويزداد هذا الاغتراب العاطفي مع

استمرار.

⁽¹⁾فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 74.

⁽²⁾المرجع نفسه، ص 75، 76.

يرى علماء النفس أن: «من مظاهر الاغتراب العاطفي أن يُساور الشاعرَ شعورٌ بالألم والحزن واليأس، وأحياناً الاحساس بالعجز أو العزلة الاجتماعية وقد يسايره شعوره بالقلق والاضطراب»⁽¹⁾.

4-7- الاغتراب اللغوي:

يُكمن في عدم قدرة اللغة على إيصال الأفكار التي يريدها الفرد، الناتجة عن عدم قدرته عللاً استيعاب لغة الآخر «فليست اللغة أداة لتوصيل الأدب وحده، ولكنها الوعاء الحامل لكل فكر الإنسان وعلمه وثقافته»⁽²⁾، تمثل اللغة أحد عناصر ومُقومات الهوية وتعكس الخصوصية الثقافية للمجتمعات وأن استعمال كلمات وعبارات لا تنتمي إلى الحقل الدلالي للفرد يُعد اغتراباً لغوياً، يُفقد المرء به هويته.

عاشت دول المغرب العربي فترة الاحتلال العسكري بشتى أنواعه، حيث نجد «اغتراب اللغة العربية في مصر نتيجة للظروف السياسية، العسكرية التي مرّت بها، وهو حال معظم الدول العربية التي تعرضت لظروف مماثلة ويتعلق بالاحتلال والاستعمار الأجنبي»⁽³⁾.

لعب الاستعمار بكل الطرق دوراً بارزاً في تغريب اللغة واستبدالها بلغته الخاصة (اللغة الفرنسية) إذ حاول جاهداً طمس اللغة العربية والثقافة العربية وجعلها غريبة بالنسبة للآخر ومُهْمِشَة.

يستعرض التاريخ جملة من الأوباء خاصة الروائيين الذين اغتربوا عن لغتهم وكتبوا بلغة الآخر كأمثال "محمد ديب"، "مالك حداد"، "ياسمينه خضرة"، "كاتب ياسين".... إلخ

تجدر الإشارة إلى أن انفتاح العالم على النظام الرأسمالي ساهم في الانفتاح اللغوي وأصبح يشمل كل مجالات الحياة وتعدد الثقافات واللغات «إسلامكو، منصور شيفروليه، محمد موتورز، شوبينغ سنتر للمحجبات...» وهنا تضيع اللغة الفصحى بامتزاجها مع العامية، ويصبح التحدث بلغة عربية سليمة صعباً⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ أحمد علي الفلاحى: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 07 هـ، ص 98، 99.

⁽²⁾ يحيى عبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات طاهر بن حلون، ص 207.

⁽³⁾ عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 124.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 125.

عَرَفَ انفتاحًا وتطورًا وأخذ يستلهم مفرداته من اللغات الأجنبية، وكان لهذا الانفتاح جانين سلبي وإيجابي، إذ تمثل السلبي في ضياع اللغة الأم، أما الإيجابي منه فهو انفتاح على اللغات الأخرى والثقافات والحضارات المختلفة.

يمكن القول أن الاغتراب يكون ظاهرة إنسانية اجتماعية تعددت مفاهيمها بين الفلاسفة والنقاد، لكنها تصب في معنى ودلالة واحدة ألا وهي الترك والبعد عن الوطن والأهل.

كما تعددت أنواعها وأشكالها تبعاً لتعدد حالة الفرد المغترب وطبيعة معاناته، فإذا أحس الفرد بغربة في ذاته يعد اغتراب نفسي، وإذا لاحقته حنين ووحشة لوطنه ودياره يُعد مكاني، وبذلك تعدد أنواعها.

وبما أن الاغتراب له أنواع كثيرة. فكيف تجلّي في رواية طيور أيلول لإملي نصر الله؟ وما هي الأنواع التي برزت فيها؟ وما الغاية والهدف الكاتبة من إيرادها؟.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية
"طيور أيلول لإملي نصر الله".

تمهيد:

- 1- الاغتراب النفسي
- 2- الاغتراب الاجتماعي
- 3- الاغتراب الزماني
- 4- الاغتراب المكاني
- 5- الاغتراب اللغوي

تهيد

يعد موضوع الاغتراب من المواضيع الهامة التي لقيت اهتماما مرموقا في الدراسات الأدبية، فهي لصيقة بالوجود الإنساني ضمن المحيط المجتمعي وملازمة له كونها ظاهرة مرتبطة بالتجارب الإنسانية، تنعكس على الفرد غالباً بالسلب؛ فالجتمتع الذي يسوده هذا النمط يعيش جواً من الفوضى ونوعاً من اللا استقرار. وقد عالج هذه الظاهرة كثير من الروائيين في ابداعاتهم، مثل ما فعلت " املي نصر الله" في روايتها " طيور أيلول"، وأكد أن لكل روائي طريقته في المعالجة، ولمعرفة تقنية هذه الكاتبة لابد من طرح سؤالين مهمين هما: كيف تجلّي الاغتراب في رواية طيور ايلول؟، ولماذا لجأت الكاتبة إلى توظيفه أي الهدف والغاية منه؟.

1- الاغتراب النفسي:

تمخض عن المتن الحكائي للرواية مجموعة من الاغترابات نحاول ادراجها كالآتي:

"منى":

هي شخصية رئيسية في الرواية، تظهر على أنها الفتاة الطموحة الحاملة بمستقبل أفضل، حيث نجد أن أحداث الرواية تدور على لسانها وفق زمن استذكري استرجاعي. نجد أن شخصية "منى" أخذت نصيباً وافراً من الاغتراب، حيث تمخضت عنها عدة اغترابات تمس حياتها وعائلتها وقريتها، وتحاول سرد ما تحسه اتجاههم.

*سردت عن حياتها عدة تفاصيل تخص الضغوطات النفسية التي مرت بها، لاجئة إلى الطبيعة كعامل مهم يساعدها في استخراج مكبوتاتها وتساؤلها التشاؤمية المتأزمة، أو تجعلها ملاذا للهروب من واقعها والتمتع بمناظرها الخلاب، فالطبيعة هنا بفصلها الخريفي والربيعي وما يحمله من تغيرات، له الأثر البالغ عليها، تقول «ويدق شوقٌ ملحٌ أعصابٍ وجودي، فيقتلني من هذه الهنيئات فأعود أهيم بين الحقول الفسيحة، أغرس قدمي في التراب الأحمر الملتهب أعب الماء من النبع المتفجر قرب كرمنا، وألمس بيدي

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

نتوء الصخرة الكبيرة»⁽¹⁾، فهي تشعر بالوحدة والحنين إلى أيام العمر التي طوتها الذاكرة بين ثنياتها فتقوم بأفعال لا إرادية ، لذا تغترب عن ذاتها الحالية وحالتها النفسية الحاضرة إلى فترة طفولتها التي تشعر فيها بالأمان والحرية و تتخذ من الحقول الواسعة والتراب ملجأً وأنيسا لها ينسيها همومها ومشاكلها وشعورها بالوحدة والغربة.

تمر الساردة عبر صفحات الرواية من حالة نفسية لأخرى، حيث تقول في موضع آخر من السياق الإيجابي نفسه للطبيعة «هربت من جوّ الغرفة الضيقة، هربت إلى المصطبة بغلالة النوم لأعبّ أنفاس الصباح المترعة بالعطر، وقد أخذت البراعم الجريئة تفتق أرحامها الصغيرة على غصون الأزدرخت في حديقة بيتنا. والشمس تولد من جديد، في ذلك الصباح فتَهزم اللسعات الباردة التي خلفتها ليلة أمس»⁽²⁾، تصور "منى" حالتها النفسية الداخلية التي كانت تشبه القفص، والأن بدأت تطل على عطر الهواء النسيم، فهي تعبر على حالة اللااستقرار أو الضغط النفسي التي تعيشه في قريتها ووسط أهلها، إذ أصبحت الغرفة بالنسبة لها مكانا ضيقا مظلما يحذُّ من أمالها وأحلامها، فتتخذ الطبيعة مهربا وانقطاعا وميلا إلى الانطواء على الناس، مما يؤكد أنها لم تستطيع تحقيق توازنها لا مع نفسها ولا مع أهل بلدتها ووجدت الطبيعة مأواها ومنفاها الاختياري.

تنتقل مع تغير الفصل إلى الحالة السلبية التي تحس بها وتلازمها مع التغيرات التي تحصل في فصل الخريف، تقول «وشعرت بغصة تغص بصدري، وتتغلغل في حنايا نفسي، إن هذا الشعور يعاودني كلما لمحت الأوراق الصفراء تترنح مغلوبة على أمرها، وتدوسها الأقدام.

أهذا مصيرنا يوماً؟»⁽³⁾، يتبادر إلى الساردة دوماً شعور وتساؤل عن مصيرها المجهول، مصيرها الذي يحتل في نفسيته الحياة الرائعة، فهي تُشبه نفسها بالأوراق التي تتساقط في فصل الخريف وتدوس عليها الأقدام، فتمحى من الوجود.

كما استقت من الطبيعة بعضاً من العبارات الخاصة بما لتعبر بها عن عرش الحزن الذي تربعت فيه، تقول «كانت غلالة من الحزن الدائم تلف نفسي، وغارت خطاي في دروب موحشة، دروب الوحدة

(1) إملي نصر الله: رواية طيور أيلول، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط7، 1991، ص14.

(2) المصدر نفسه، ص16.

(3) المصدر نفسه ، ص 23.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

القاسية»⁽¹⁾، تُحسُّ الشخصية "مئي" بالوحدة وعدم الحرية وتتخذها السبيل الوحيد للولوج إلى عالم الحزن سبباً للظروف القاسية التي تطبق عليها من طرف أمها ومنعها من مغادرة المنزل والالتقاء بصديقاتها وبالتالي ترمي بحالتها هذه في حزن الابتعاد واتخاذ الذات هي السبيل الوحيد لاغترابها عن الآخرين.

لكن سرعان ما بدأت غيوم الشؤم تتلاشى عن عينها، حيث بدأت تحلم وتُمني نفسها بالهروب إلى الأفاق البعيدة، أين تملك حريتها كاملة، تقول «كيف نفهم أن عيني شاردتان إلى أفاق بعيدة... بعيدة عن حدود القرية؟»، وأن قدمي تتحفظان إلى الهرب إلى حيث لا أجد من يخطط مصيري»⁽²⁾، فهذه التساؤلات المصيرية الآملة شجعتها على محاولة الهروب «وفي ذلك الصباح، تمنيت لو أفعل شيئاً لأكسر الطوق، لم يكن تصرفي تحدياً لهم، بل توقا إلى الحرية، إلى تحسُّس وجودي المستقل إلى الانقلاب مع ذاتي المنفصلة عن الجميع»⁽³⁾، تُحدثنا الساردة عن أحلامها، وعن رغبتها في تجاوز كل العراقيل والضغوطات التي تُحد من حريتها وتقيدُ آمالها وطموحها، وأنها ترغب في اثبات ذاتها ووجودها رغم قيود المجتمع.

ثم تواصل فكرتها الحاملة في التغيير مجسدة إياها على أرض الواقع، «هربتُ من البيت دون أن أخبر أمي، كنت أقوم بمحاولة أولى للاستقلال لأثبت لنفسي أنه يُمكنني أن أغلق باب الدار خلفي دون استئذان أحد»⁽⁴⁾، تمكنت "مئي" من تحقيق فكرتها في تجاوز كل القيود، وإطلاق العنان لحريتها واستقلالها دون خوف من أحد وتجاوزت بذلك المجتمع.

* بعدها تمر الساردة بعد التطرق إلى ما تعانیه في حياتها الخاصة وما تحسه إلى سرد مشاعرها اتجاه عائلتها، فتقول «تحسست ثورة عتية تحتاح كياني في تلك اللحظة. تذكرت أن أخي يحزم حقائبه استعداداً للذهاب إلى المدرسة

لماذا؟

لماذا سمحوا له بأن يطير، هكذا، بدون سؤال؟

(1) الرواية: ص 43.

(2) المصدر نفسه، ص 62.

(3) المصدر نفسه، ص 164.

(4) المصدر نفسه، (ص، ن).

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

لماذا أبقى أنا، بين هذه الجدران الضيقة، أدوس آمالي وأمرغ طموحي بقدمي، أمسح به أرض الغرفة الضيقة؟⁽¹⁾، تعبر الساردة عن إحساسها بالنقص والتهميش من طرف أسرتها التي تفقدتها قيمتها وسط مجتمعها، من خلال امتناعها عن دراستها وتحقيق احلامها، لذا صورت واقع المجتمع اللبناني الذي يمنع الفتاة من الخروج إلى الشارع بحجة وجوب اتخاذ بيتها السبيل الوحيد لضمان حياتها من مشاغبات الشباب وما ينجم عنه من آثار سلبية.

فبعد الوقوف على وصف الفرق الذي تضعه العائلة والمجتمع بأكمله في التفرقة بين الذكر والانثى وما للآخر من امتيازات خاصة، أهمها الحرية، تنتقل إلى الجانب الإيجابي للحديث عن العائلة وهو الشوق لها بعد الفراق، وكأنها رأت في ذاك الضغط الذي عاشته مع عائلتها أمانا لها تفقدته الان في غربتها عن الوطن، «أمي إن وجهك يفرش الراحة أمامي، في سُبُل غُربتي في هذا الوجود»⁽²⁾ ، ترسم لنا الساردة ملامح غربتها والشوق الذي تحمله بين ضلوعها، حيث تُخفُّ غربتها حين رؤيتها وملاقاتها لوجه أمها فيعيد لها الراحة والاطمئنان من وحدتها، فالأم هي منبع الحنان والأمان وهي الحضن الدافئ لأولادها وملجأهم الوحيد للتخفيف عن نفسيتهم.

*بعد السرد "منى" بعضا من تفاصيل حياتها المتأزمة مع نفسها وعائلتها، تقدم للقارئ أيضا حلولا اعتمدها للتخفيف عن حالها وكذا تغيير حياتها، وهذه الحلول تحمل دوما المصطلح نفسه وهو الهروب؛ الهروب إلى الطبيعة، الهروب من المترل، الهروب إلى الكتب، حيث وجدت في هذه الأخيرة علما آخر تلجُ إليه، إذ أصبح مؤنسها ورفيقها الدائم « فغرقت في بحر الكُتب»⁽³⁾ ، وتؤكد هذا « سُرعان ما أصبح الكتاب رفيقا خاملاً، ومات الإشراف في نفسي لتحل محله مسحة غباء، وعدت أتيه في بحار أحلامي، باتت الكُتب المهرب الحديد الذي أركن إليه لأنسى حيرتي وضياعي وشوقي الملح إلى الوجه المجهول، إلى طيف خلقتة لأقتل وحدثي»⁽⁴⁾.

(1) الرواية: ص 22.

(2) المصدر نفسه، ص 59.

(3) المصدر نفسه، ص 228.

(4) المصدر نفسه، ص 229.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

يؤكد لنا المقطعين أن الكتب كانت إحدى المحاولات التي لجأت إليها "منى" وجعلتها صديقا للتخلص من وحدتها وغربتها، فالكتاب بالنسبة لها خير جليس ورفيق دائم ليوحدتها ويقضي معها أجمل الأوقات، تهرب من خلال صفحاته إلى عالم الخيال والمغامرات.

*إضافة الى ما قلناه عن الهروب وما يندرج تحته، نجد الان هروبا آخر وهو الاحلام، ذاك العالم الخيالي المحقق لكل الامنيات بأجمل الطرق أو أتعتها، حسب القدرة التخيلية للإنسان وكذا حسب حالته النفسية، نجد "منى" تبحث فيه عن الدفء والحنان في أحضان والديها، كما تبحث عن الاهتمام والأمان في فارس أحلامها حيث تقول في ذلك « وددت لو أنام بين ذراعين تحنون عليّ، لو أعود إلى لحظة من لحظات الطفولة استشعر الدفء والاستكانة في حضن أمي، أو أسير فوق التراب الدافئ في الحقل المجاور»⁽¹⁾، ثم تواصل حرقتها وأحلامها اللامتناهية « تمنيتُ لو يفتح باب عُرفتي ويدخل منه فارس أحلامي فأرتمي بين ذراعيه، وأبدد قلقي ومخاوفي، وقفزت إلى النافذة أطل منها على الملاعب الفسيحة علني أراه»⁽²⁾.

تحلم "منى" بواقع أفضل وحياة سعيدة يعُمها الدفء والحنان والحب المتبادل مع شريك حياتها، فهي كأبي فتاة شابة تأمل بشريك مثالي لحياتها يسعدها ويحن عليها، وتتلاشى مخاوفها بين أحضانها، وترى فيه السند الدائم لها، وسرعان ما تعود إلى واقعها المؤلم والفراغ الرهيب الذي يسكن داخلها « ولما استيقظت من أحلامي جمعت قواي وانطلقت في الشوارع الطويلة المظلمة شوارع المدينة المبحث عن عمل أفتت فيه أعصابي وأهرق في تياره دمي وماء حياتي»⁽³⁾، تعيش الكاتبة من خلال شخصية البطلة "منى" وحدة قائمة وغربة مؤحشة تدفعها إلى الهروب من عالمها الواقعي إلى عالم الخيال، والاختباء وراء احلام اليقظة والآمال البعيدة فوق السحاب، فالغربة التي تعيشها وسط أهلها جعلتها في فرار دائم عن واقعها.

*أما الهروب الاخر الذي نجده فهو الهروب الى المدينة، حيث قضت منى سنينا من عُمرها وشبابها في أحضان المدينة ومناهاها، التي كانت حُلما لها، وبمناها تحرر من القيود قريّة التي أهلكتها وطوّقت أحلامها، حتى باتت تسلب ذاتها وكيانها، لكن سرعان ما ظهرت المدينة بوجه غير الذي كانت تحلم به أو تتوقعه، فقد أصبحت كالحجرة المظلمة أو النقطة السوداء في حياتها، مما جعلها تستشعر الدفء والحنان لقريتها

(1) الرواية: ص229.

(2) المصدر نفسه، ص 230.

(3) المصدر نفسه، ص 231.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

والحنين إليها ولأيام قضتها مع صديقاتها في حقول الكُروم وشوقها الدائم لها « لماذا لا أعود إليها، وأضع حدًا لهذه الغربة الدائمة، وهذه الوحدة التي تأكل أحشائي؟».(1)

* في مقابل الهروب الى المدينة ، نجد الهروب منها ، فبعد ما عانته منى فيها عادت إلى قريتها والشوق والحنين يملئ كيانها وذواتها واحساس غامر يدق أوتار احساسها، ظنا منها ان الشوق نفسه ستجده في قريتها ، لكن تجد خيبة أمل في انتظارها «كنت أتوقع أن تخرج القرية لتستقبلي وترحب بالطائر العائد إليها»(2)، تقول أيضا «أطلت أم إلياس تستطلع الخبر فلما أبصرتني ردّت الباب الخشبي العتيق خلفها»(3)، لقد صُدمت بردة فعلهم غير المتوقعة والرفض وعدم القبول من أهلها ومجتمعها ، « ثم أدار المجتمع رؤوسهم وابتعدوا، أو هكذا بدأ لي، وجدار الأيام يرتفع ليفصل بيننا»(4)، يُراود الكاتبة الشعور بالغربة إزاء عائلتها، واحساسها بعدم الانتماء في وسطهم وأنها غريبة عنهم، حيث أنها لم تلق الترحيب المناسب من طرفهم ولم تلاحظ تلك البهجة والسرور في وجوههم عند ملاقاتهم لأيّ غريب طال غيابه عنهم وفرحوا بعودته وملاقاته ، إذ تقول «أن ترحيبهم بي شبيها بالصفعات العنيفة وجوههم أكدت لي الرفض أكثر من القبول، لقد رفضتني القرية لحظة انسحبت من وجودها لأغرس قدمي في تربة غير تُربتها».(5)

إذن، فالقرية التي عاشت فيها "منى" طفولتها وشبابها وقضت فيها لحظات سعيدة وحزينة من عصرها، تيرأت منها ورفعتها مجرد أنها رحلت عنها وانتقلت إلى المدينة « شعرت أن القرية محت إسمي من سجلاتها، كما محت أسماء مرسل وكمال وراجي وهرعت إلى السيارة، أهرب من الصفعات القوية، وأعود في الطريق المتعرج المتأكل، الطريق الذي حملني مرة عبر الأفاق الحاملة»(6)، ظل شعور الغربة والوحدة يلاحقها ، ويزداد في أعماقها شيئا فشيئا، إذ أصبحت في نظر أهلها ومجتمعها مُهمشة وأن اسمها مُحي من

(1) الرواية: ص 243.

(2) المصدر نفسه، ص 243 .

(3) المصدر نفسه ، (ص، ن).

(4) المصدر نفسه، (ص، ن).

(5) المصدر نفسه، (ص، ن).

(6) المصدر نفسه، ص 244، 245.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

سجّل القرية، وصار من الماضي مثل ما جرى لمرسال و راجي وسواهم الذين هاجروا القرية وتركوا فراغا فيها، ونستهم بذلك القرية فوري مغادرتهم إلى البلاد الأجنبية.

يتضح لنا من خلال اغترابات منى النفسية ، أنها ركزت على حالتها النفسية ومعاناتها ، وترجمت ما تحسه باعتمادها على عناصر الطبيعة، كأها ملهمها الذاتي، وللتغلب على سلبياتها وما تعانیه من طرف أسرتها ومجتمعها، إذ حاولت بطرق كثيرة اللجوء إلى البديل للترفيه عن نفسها حتى لا تغرق في السلبيات أكثر، منها المطالعة.

مرسال:

صديقة "منى" المقربة ذات ضحكة مشرقة تشبه الربيع، فتاة حاملة نائرة مرحة، حالتها تشبه "منى" التي قيدتها قيود العادات والأعراف من الخروج إلى عالم الحرية، فوقعت في حب شخص لم يكن يبادلها الشعور فاحترقت في آلام العشق وعذاب الحب، وهذا كله تجلّى لدى "مرسال" على شكل اغترابات نفسية تواجهها، تقول عنها الساردة «كتمت مرسال شهقة كادت تفضح مشاعرها...أنا خائفة، أخشى أن تنتهي هذه اللحظات الهائلة يا منى، إن راجي هو الامل النظر الذي يشدني إلى الحياة ويدفعني لأطوي الأيام الرتيبة، ألونها بالشعاعات الدافئة التي يبثها وجوده ، إنها النقطة التي تنتهي عندها أمالي ومشاعري، أحبه يامنى»⁽¹⁾.

حيث نجد في تعبير آخر قولها: «منى لا تؤخذي صراحتي، أنت الوحيدة التي أفتح لها قلبي ... إنه يزرع أيامي بالأحلام الوردية، فأنا لا أقدر أن أحدثه أو أبادله الكلام أنت تعرفين قساوة أبي»⁽²⁾، خاضت مرسال نيران الحب، حيث يعتبر راجي بالنسبة لها أملها في الحياة، وهو بريق الأمل ونبع الحنان فكان حبها له مكتوم ولا تستطيع التعبير عنه خشية عادات وتقاليد القرية والأهل الذين ينقضون مصطلح الحب بدون علاقة شرعية، فحب الفتاة جريمة وخطيئة.

*في مقابل عذاب الحب الذي تعيشه نجد ضغوطات نفسية تمر بها نتيجة ما عانته من فقدان الأحبة في حالتين فراق وموت، الأولى لحبيبها والثاني لصديقتها، وتُعبّر عن ذلك في هذا المقطع الروائي «لحت أطيافا

(1) الرواية: ص28،29.

(2) المصدر نفسه، ص26.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

حزينة في عين مرسال وهي ترسل نظرات متسائلة إلى المقابر القريبة فوق كتف البيادر»⁽¹⁾، تحتضن مرسال مشاعر الفقد والوحدة اتجاه فقدان الأحبة وموتهم حيث تبقى ذكرياتهم معلقة في ذاكرتها وما عاشته معهم من لحظات نفسية ممتزجة بين الفرح والحزن.

ثم تُواصل "مرسال" وحدتها وغربتها نتيجة هذا الفقدان الذي أدخلها في دوامة الحزن والألم، تقول الساردة عنها: «سمعت مرسال تشهق بالبكاء. وهربت الدموع من عيني فقد شغلني اللوحة عن البكاء»⁽²⁾، راحت الساردة تعبر عن أجواء حزينة لجنائز مريم هذا ما زاد تأزم حالة "مرسال" النفسية مما عاشته من فراغ رهيب وفقدان، واحساس بالبعد لموت صديقتها فهي انعزلت وانطوت عن نفسها داخل كيانها فهي لم تستطع البوح بتلك المكبوتات، حيث أصبحت حالتها النفسية غير متوازنة فأحيانا تثور ضحكا فرحا، وأحيانا تنفجر باكية، ومن ثم أصبح الحزن يسكن ذاتها.

*بعد مرور مرسال بالحالة النفسية الصعبة التي كانت تواجهها مع نفسها وعائلتها وأصدقائها، وجدت حلا بديلا يُرفه عنها وينسيها قليلا من همومها، فانعزلت ولجأت إلى الطبيعة والكتابة ومن ثمة الهجرة بعد الزواج تقول عنها الساردة: «مسكينة مرسال؟ كانت تحفظ أناشيد كثيرة تغنمها في جلساتنا الهادئة وتبثها آهات شوق تهينم في جنبات الواد القريب

حبيبي اسمر وحلو،

ليس بين الرجال مثل حبيبي»⁽³⁾.

إذن، اتخذت "مرسال" الطبيعة مكانا للترويح عن نفسها بإنشاء قصائد حب في جلسات هادئة وأماكن مريحة مفتوحة، فالساردة تركز على الحالة النفسية لمرسال وما آلت إليه من شوق وحنين.

*في المقابل الهروب إلى الطبيعة نجد هروبا آخر يفتح لها سعادتها التي كانت تشبه القفص الضيق ألا وهو الهروب إلى المدينة بحثا عن عالم واسع يُنسيها مشاعرها واحاسيسها تاركة وراءها ذكريات الأسى والحزن، فوجدت بلاد المهجر ملاذا ومهربا لها من واقعها المرير، تقول في ذلك: «لقد أضعت دروب حياتي كلها

(1) الرواية: ص19.

(2) المصدر نفسه، ص50.

(3) المصدر نفسه، ص19.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

دربا واحدا يقود خطواتي إلى هدف معين، إليه... السفر هو السبيل الوحيد للهروب من هنا، من أتون الشقاء»⁽¹⁾.

تعدّ التجربة النفسية التي مرت بها "مرسال" من ضغوطات نفسية وفقدان الأحبة سببا في تركها لقربتها وهجرتها، ويُعدّ "جون" الرجل الذي غير حياتها فلقد اختاره والدها عريسا لها لتنتقل إلى العيش معه في أمريكا، لتخوض حياة جديدة ومريحة في بلاد غير بلادها، وفي عالم لا يشبه عالمها الذي نشأت وكبرت فيه .

*تقص علينا الساردة حياة "مرسال" وهي في بلاد الأخر «جون لا يزال في المخزن، وقد نام الصغار عندي ثلاثة منهم يا مني إنهم يزقزون كل صباح»⁽²⁾، يتضح من خلال هذا المقطع استقرار حياة "مرسال" العائلية والنفسية برفقة زوجها وأولادها.

نستنتج أن الملاحظ في حالي "مني" و"مرسال" أن الكاتبة تستعمل نفس الاسلوب، فهي تصف معاناة الشخصية، بعدها تقدم الحلول التي تساعدها على الخروج من أزمتها، أي أنها تُشخص الحالة الاجتماعية من أزمة ونتيجة ثم تُقدم الحل كنتيجة تطويرية تؤول إليها الشخصية بشكل طبيعي، كأن الظروف أوصلتها إليها صدفة.

كما تعكس لنا الروائية من خلال هذه الاغترابات حالات الحب والغرام التي تستهدفها المجتمعات وتمنعها وتعرقلها بحجة العادات والتقاليد، فتترك أثراً سلبيا في نفسيتهم، كما هو الحال عند "مرسال"، وصورت أيضا من خلالها جانب المهجرة والزواج من الأجنيات الذي انتشر كثيرا في عصرنا الحالي، لتحقيق أغراض نفعية.

(1) الرواية: ص 177.

(2) المصدر نفسه، ص 232.

مريم:

هي فتاة من ضحايا الحب، وحكايتها لا تختلف كثيرا عن حكايات صديقاتها، وبنات قربتها، فهي الحلم المزعج لمنى نظرا لما حصل لها، تقول منى الساردة:

«مريم»؟

كيف أنسى حكايتك يا مريم؟

كانت حلماً مزعجاً رافق حدثاتي وشبابي. وها أنا أحاول أن أعيد الحكاية، أن أرسم وجهك من جديد»⁽¹⁾

عاشت مریم قصة حب مع فواز، حب من الطرفين عاشته القلوب، لكن القدر لم يسمح لها بأن تواصل قصتها الغرامية، وفي هذا التعبير تقول الساردة «مریم» كانت مریم تقف خلف النافذة تسمع وقع خطاه فأطلت برأسها تبحث عن مصدر الصوت فانقضى عليها بقبلة نارية من فوهة مسدس»⁽²⁾.

*نقلت لنا تفاصيل هذه الأحداث اغترابا نفسيا داخليا في حياة مریم، وأهل قربتها، كما عبرت الساردة أيضا عن حالة فواز عندما أصيب بنوبة هستيرية جنونية، وقرر وضع حدٍ لحياة مریم، فلم يكتب لها القدر أن تعيش حياة الحب والحنان بل وجدت نفسها أمام طريق مسدود نهايته الموت.

وفي سياق آخر تستذكر "منى" الساردة حالة "مریم" قبل أن تأخذها عاصفة الموت، بعدما كانت تعيش حياتها الطبيعية المليئة بالحب فتقول «ودمعت عينا مریم وهما تلتمان عيني فواز وتغرقان في الدماء الحارة النازفة من جراحه العميقة ومدّ يده الخشمة يمسح بها الدمعات السخية»⁽³⁾، جاءت صورة مریم في هذا التعبير معبرة عن عاطفتها اتجاه "فواز" عند ملاقاتهما، والبوح بمشاعرهما اتجاه بعضهما البعض، ومعاناتهما من سلطة العراف والتقاليد.

(1) الرواية: ص 38.

(2) المصدر نفسه، ص 46.

(3) المصدر نفسه، ص 42.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

*لجأت "مريم" إلى هذا الاغتراب نظراً لما عاشته من وحدة ولا استقرار، وأنها لم تكن تحضى بالاستقلالية و الحرية في تقرير مصيرها، خاصة ما تعلق في اختيار شريك حياتها، حيث كانت مقيدة بأغلال الأعراف والتقاليد.

فواز:

شاب عاش يتيم الأم، فقد ماتت أمه بعد وضعه بساعات، ولم يسعفه مركز أبيه ليحيا حياة الترف في قلب مجتمعه، عاش متشرداً وحيداً؛ تقول الساردة عن هذه الشخصية المهمشة «فواز عاش حياته دون عطف الأنتى، فقد ماتت أمه بعد وضعه بساعات، ولم يسعفه مركز أبيه ليحيا في قلب المجتمع، فعاش على الهامش نقطة زائفة في عين القرية، عاش متشرداً على نتف من المحبة والعطف تجود به نساء الجوار»⁽¹⁾، تواصل سردها «كانت الوحدة التي مرّ بها الطفل مريرة قاسية ولم تخفف من وطأها فتوة الشباب»⁽²⁾، ترسم لنا الساردة اغتراباً نفسياً لشخصية "فواز" الذي عاش حياته يتيماً، فهو لم يدق طعم الحنان والعطف كباقي أطفال وشباب القرية.

فراق الأم هو فقد للنفس وضياعها، حيث يعيش الفاقد لأمه مشاعر مردحة أساسها الحزن، والشعور بالوحدة على الرغم من جميع الأشخاص المحيطين فيه، فالأم عالمٌ عصيٌّ على الوصف وهي الأمل ومصدر العطاء لأبنائها، لكن "فواز" لم يعيش كل هذه الأحاسيس واللحظات مع أمه، ما جعله يعيش في غربة نفسية مثقلة، وما زاده غربة التهميش وعدم القبول الذي وجدته في مجتمعه بسبب مكانته الاجتماعية الغير المرموقة.

*تستمر الساردة في وصف غربة "فواز" بين جدران القرية، إلى حين ملاقاته "لمريم" وتعرفه عليها، وراحت تستلهم ذاته وعواطفه، وقطعوا مراحل بعيدة في جلسات عابرة على حافة الكروم وأزقة القرية فبات حبهما باهتا، حب بمثابة خطيئة في أعراف وتقاليد القرية «لاحقتني الحكاية لتقض عليّ مضجعي، وبقي سؤال عنيد يطرق جدران كياني: ماذا جننت مريم؟ وماذا فعل فواز؟ وهل الحب خطيئة؟»⁽³⁾.

(1) الرواية: ص42.

(2) المصدر نفسه، (ص، ن).

(3) المصدر نفسه ، ص 41، 42.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

*تصل بنا الساردة إلى ختام قصة حبهما، والتي انتهت بجريمة قتل راحت ضحيتها "مريم" في عرس ابن عم "مئي" "سعد"، تقول الساردة: «رأيت فوازاً، في حلقة الشباب شريداً طريداً (...). وعيون الصبايا تتغامز عليه ببحث مفضوح (...). شد الهمة يا فواز!»⁽¹⁾، يراود إحساس الغربة والتهميش شخصية فواز من جديد وسط مجتمعه الذي لا يتقبله وينفر منه.

كلمات قليلة كانت الخاتمة لحكاية حب عاتٍ ميؤوس منه، لينتهي بطلقة نارية تلتقتها "مريم" من كف "فواز" الذي لطالما اعتبرته مصدر الحياة والأمل والحرية، لتصير جثة هامدة ممددة في الزقاق الضيق تغرق بدمائها، «وفجأة دوّت في الجو طلقات نارية (...). مريم ماتت قتلها فواز»⁽²⁾، ف"فواز" يئس الانتظار وفقد اتزانه وظل يصرخ باسم "مريم".

ف"مئي" صوّرت واقعها المؤلم والمقيد بأعراف وتقاليد مجتمعهما الذي يسلب أحلام شبابه ويحطم طموحه، كما صوّرت حالات القتل والضياع التي تتعرض لها فتيات القرية نتيجة هذه الأعراف، وهذا كله جسده في اغترابات شخصية "فواز".

*يتضح لنا أن رواية "طيور أيلول" تعج باغترابات نفسية كثيرة ما ذكر منها سابقاً، ولا يسعنا المقام لذكرها وعرض تفاصيلها، فنجمل بعض ما تبقى منها في شخصية "أبو راجي" وشخصية "نجلاء"؛ فالشخصية الأولى "أبو راجي" عاش غربة الوحدة والفقد عندما تركه ابنه "راجي" وهاجر إلى أمريكا، فترك فراغاً رهيباً مؤلماً داخل قلب والده، كأبي أب يحزن لمغادرة ابنه عائلته وقريته ويتعد عنهم لمسافات طويلة وزمن غابر، فيودع "راجي" أباه قائلاً: «الله يكون معك يا بني، كون قد حالك في الغربة، الغربة للرجال، شد حيلك (...). وارتمى على صدره كالعصفور المارب من العاصفة، وبقي وجه الوالد يرتصد فوق كتف الشاب، ودموعه تحرق الأحاديث السمراء الخشنة (...). آه يا ولدي! ليتني من قبل هذه هالساعة...»⁽³⁾، بقي حزن الأب على ابنه مستمراً يخنق صدره، وغربة الابن على قريته وأهله.

(1) الرواية: ص 44، 45.

(2) المصدر نفسه، ص 45.

(3) المصدر نفسه، ص 124.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

أحس "أبو راجي" بثقل الأيام وطولها وشقاوتها في ظل غياب فلدة كبده "راجي" عنه، فكانت تغلبه العاطفة ممزوجة بدموع الحنين والوحشة «غلبته العاطفة، واغتصبت الدموع سبيلها إلى عينيه، ثم سألت قطرات منها بين ثنايا وجهه وصفت ظهر الطاولة المنبسطة أمامه»⁽¹⁾.

تخبرنا الساردة في ثنايا الرواية عن رحلة "أبو راجي" اليومية إلى مركز البريد، الذي أصبح هذا الأخير مصدر حياته وأمل لقائه أو تواصله مع ابنه "راجي"، وظلت الرسائل الشحيحة تزخر بالعاطفة والحنين مبعث سعادته، وأن كل حرف من حروفها يشع بالأمل، ولكن أحيانا يجيب ساعي البريد أماله. تصور الساردة الحالة النفسية التي يعيشها الآباء عند هجرة أولادهم لوسطهم العائلي والاجتماعي، فينهارون في نار الحنين والشوق لأبنائهم.

أما شخصية "نجلاء" فقد عبرت بها الكاتبة عن اغتراب نفسي قاتل يستحوذ ذاتها وهويتها جراء حب قاتل غير مقبول في محيطها الاجتماعي فقد عاش الحب حملا ثقيلا في صدر "نجلاء"، كانت لا تجرؤ على البوح به لأحد خوفا من عادات وأعراف القرية.

"نجلاء" كانت تعيش في حالة اللا استقرار والخوف الدائم من مصيرها المجهول مع "كمال" تقول الساردة عنها: «نجلاء خنقت مشاعرها وسارت مع القطيع»⁽²⁾؛ تصور لنا الروائية شخصية "نجلاء" وهي في دوامة القلق والحزن وخوفها من مصير كمصير صديقاتها في القرية، وأن يحدث لها ما حدث "لمريم" (موت مريم على يد فواز) أو كمرسال (زواجها من شخص أجنبي لا تعرفه) «لست أدري ماذا، غير أنني بقيت أنتظر وأهرب من التفكير في مصيري ضمن تلك الحدود الضيقة كانت تُرعبني فكرة الغد إذ أرى نفسي مثل "شاهينة" و"الماس" و"عدلا" وسواهن من النساء»⁽³⁾، ليتحقق بذلك خوفها ومصيرها وإعلان زواجها من الشاب "سليم"، «أعطوهم القول (...) ثم يقترب كبير الجماعة وبمسك بيدي، ويقودني إلى ثغر الهاوية، سأصرخ كثيرا في هذه الليلة يا كمال (...) حتى أُمي لن تسمع صوتي، أُمي التي حملتني أحشاؤها تسعة أشهر (...) مثلي يا نجلاء ابترسي»⁽⁴⁾، إذن تحقق خوف نجلاء ومعايشتها الظروف

(1) الرواية: ص 124.

(2) المصدر نفسه، ص 202.

(3) المصدر نفسه، (ص، ن).

(4) المصدر نفسه، ص 214 - 220.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

الاجتماعية نفسها كباقي صديقاتها، وإحساسها بالغرابة والوحدة وفقدانها لذاتها لخسارة حبها وأملها "كمال" في هذه الحياة.

إذن، فحوة القول أن الكاتبة "إميلي نصر الله"، مارست اغترابات نفسية متنوعة في روايتها "طيور أيلول" مجسدة بذلك صورة المجتمع اللبناني، والواقع المرير الذي عاشته مع باقي صديقاتها واغترابهم النفسي وسط عائلاتهم ومجتمعهم، كما أنها عبّرت عن الحالات النفسية والشعورية التي مروا بها شباب القرية، من وحدة وغربة المكان والأرض، وغربة الحبيب والشوق والحنين لهم واستعمالها لتقنية التكرار لغرض تأكيدها وتجسيدها لواقعها الاجتماعي في روايتها، والوقوف مطولا على الجانب النفسي لأهل قريتها وشبابها.

بالإضافة إلى تبيان صورة المجتمع العربي عامة، واللبناني خاصة ما يسوده من تشدد وتحفظ للعادات والتقاليد الذي عاد بالسلب على فتيات القرية خاصة، وإحساسهم بالتهميش وعدم الانتماء وعدم القبول في وسطهم الاجتماعي.

*إن الاغتراب النفسي يحمل في ذاته ما يسمى بالاغتراب العاطفي، لأنه يوجد تداخل بينهما وما يحسه سواء اتجاه الظروف أو الأشخاص، فكل شخصية تحمل عاطفة اتجاه الأخر، وكل واحدة مرت بضغوطات أدت بيها إلى إحساسها بالاغتراب، مثلا نجد "منى" في تعبيرها عن أبناء قريتها في قولها « وتعودني وجوههم تتزحلق في خيالي بكل العواطف والالام التي عشناها، فأراها تطل من وراء الغيوم المنقلبة»⁽¹⁾ تشعر الساردة بنوع من البعد، من خلال تذكر أبناء قريتها وأحببتها ووحشتها لهم، فهي تغترب بعاطفتها لتعود الى الايام التي عاشتها معهم فترة من العمر، فهي عانت من حالة عاطفية نفسية في نفس الوقت.

*نستنتج مما سبق، أن الكاتبة من خلال الرواية عاجلت موضوعين بعد التشخيص الاغترابي للحالات النفسية النموذجية من خلال الشخصيات الواردة في الرواية، وهما مقارنة الأنثى بالذكر أو ثنائية الرجل والمرأة، والمفارقات بينهما في البيئة العربية اللبنانية والامتيازات التي يتحصن بها المجتمع البطريركي والثاني مقارنة الأنا والأخر، أي العرب والغرب، ضمن الحياة الاجتماعية النفسية في كلا البلدين، واللجوء للآخر كحل مناسب فيه للاستقرار و الاغتراب.

⁽¹⁾ الرواية: ص 16، 17.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

اعتمدت الكاتبة دوما وهيا تطرح موضوعها على الثنائيات الأنا والآخر، الرجل و المرأة، الفقر والغنى، السلبي والايجابي.

2- الاغتراب الاجتماعي:

إن الاغتراب الاجتماعي - كما تطرقنا إليه سابقا- هو انعزال الفرد عن مجتمعه وبعده عن وطنه لأسباب حتمية أدت به إلى الغربة، جراء غياب العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، بالإضافة إلى تدني المستوى المعيشي من فقر و جهل و ظلم، وسيطرت العادات والتقاليد القاسية على نمط حياتهم. كما أن «صور التعبير عن الاغتراب الاجتماعي تختلف باختلاف الثقافات فضلا عن أنها تختلف من شخص لآخر في اطار الثقافة الواحدة تبعا لاختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي».⁽¹⁾

*تسترجل الساردة أحداث الرواية، لتحدث عن أهل ووطنها وسبب هجرتهم حيث أن الشخصيات أثرت الرواية بالمفاهيم والأبعاد الجديدة، وهذا الاغتراب لمسناه كثيرا في رواية "طيور أيلول" من خلال شخصية "مئي" و"مرسال" و"راجي" الذين اغتربوا عن وطنهم ومجتمعهم وأسرتهم لأسباب.

إغتراب شخصية "مئي" عن أهل قريتها ومجتمعها، باحثة عن حياة أفضل فهي فتاة طموحة تقول في ذلك: «كانت آفاق القرية تجد أحلامي وأفكاري، وتقاليدها القاسية تضرب أسواراً منيعة حول أفعالي، فأسير كما يشاؤون، وأفعل ما يريدون (...). لماذا أبقى أنا بين هذه الجدران الضيقة أدوس أمالي وأمرغ طموحي بقدمي، أمسح به أرض الغرفة الضيقة؟»⁽²⁾، تعالج الساردة موضوع الاغتراب بكل أشكاله، فهي نفسها عانت من غربة العادات والتقاليد التي قيدت أحلامها وحطمت طموحها، فهي كانت تحلم بإتمام دراستها وتعليمها والالتحاق بالحياة العملية، لكن هذا شبه مستحيل في ظل الظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع اللبناني، وخاصة في قريتها المهمشة.

فوظيفتها في نظر مجتمعها هي أن تكون ربة بيت، ومعلمة لأولادها، وزوجة مطيعة لزوجها، ومن ثم نتج عنه إحساسها بالضيق، ما جعلها تتساءل وتتعجب، في هذا السياق تقول: «إلا أن أسواراً عالية متينة

(1) موسى وفاء: الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقاته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا، ص17.

(2) الرواية: ص 21، 22.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

من تقاليد ومفاهيم وأقاويل كانت تحول دون ذلك»⁽¹⁾، وهي تؤكد على النظرة السلبية والمخطئة للفتاة «علموها بتخسروها»⁽²⁾، وتذكيرها دائماً ان مكانها هو البيت، هذا ما أدى بها إلى اتخاذ الهجرة الوسيلة الوحيدة للولوج لعالمها الذي تحلم به عالماً يسوده الحرية والاستقلالية.

*تواصل الكاتبة غربتها الموحشة في حضن عائلتها وضمن محيطها الاجتماعي فتقول: «أقوال أبي، نظرتة القاسية، المستقرة إلى الوجود الإنسان، وإلى ابنته بنوع خاص (...). وراح يردد مواعظه: "البتت الشريفة لا تعاشر الشباب، لا تتطلع وجوههم" وتؤيده أمي: "أجل...»⁽³⁾؛ يكمن الاغتراب الاجتماعي هنا في غربة "مني" داخل بيتها، ومن طرف والدها خاصة، فهو شخص محافظ على العادات والأعراف وله نظرة جبارة وقاسية اتجاه الفتاة الشابة، فكان يلزم ابنته "مني" بالبقاء في المنزل والقيام بالأعمال المنزلية، كما يمنع خروجها من البيت إلا للضرورة (العمل في الحقل) فكانت تحس بالعبودية وعدم الحرية، فتجد نفسها عبداً مأموراً تطبق الأحكام وعدم مخالفتها لمجتمعها وأسرتها عكس ما كانت تحلم به من حب وعطف ومساندة والديها لها وتحقيق طموحاتها. هذا كله زاد من رغبتها وتأكيد لها لدافع الهجرة.

*يعد المجتمع عامل آخر الذي يُحد من نظرتة إلى المرأة، ويُقيد حريتها، في اختيار شريك حياتها يقول أبو الساردة: «المجتمع والتربية وعلاقة الفتاة بالشاب»⁽⁴⁾، يؤكد بذلك أن تربية الفتاة وأخلاقها في المجتمع الذي يعيش فيه تقتصر في عدم مخالفتها لفئة الشباب ووضع الفروق والحدود بينها وتعبر عن ذلك في قولها: «أقسى شعور، يواجه الواقع الإنساني، هو الوحدة، أن يحس المرء نفسه وحيداً في هذا الكون»⁽⁵⁾، يشعر الفرد بالوحدة نتيجة ضغوطات المجتمع هذا ما يؤدي به إلى الانعزال والهجرة للبحث عن الحرية.

*ما عشته الساردة في هذه الظروف الاجتماعية القهرية التي ذكرناها آنفا جعلها تبحث عن عالم مغاير لواقعها فحال بها الواقع إلى المدينة، التي منحت لها فرصة العمل والاستقلالية من خلال قولها: «انقضت عدة سنوات، وظلت يداي تعملان، لقد تقلص تفكيري وانصبت كله في يدي، في رؤوس أناملتي، طموحي،

(1) الرواية: ص 22.

(2) المصدر نفسه، ص 24.

(3) المصدر نفسه، ص 35.

(4) المصدر نفسه، ص 103.

(5) المصدر نفسه، ص 139.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

وآمالي غدي كلها أسكبها على أزرار الكاتبة، في الصفحات القائمة التي يأمر بها مدير الشركة... هذا وجودي، كل وجودي، الحبل الذي يصلني بالعالم الحي»⁽¹⁾، اغتربت الروائية وهجرت عن قريتها، فثارت عن تلك الظروف القاسية.

فالقارئ أثناء قراءته للرواية "طيور أيلول" يتضح له أن البطلة "منى" عانت من غربة اجتماعية بسبب الظروف القهرية التي كانت تعيشها.

مرسال:

تواصل الساردة في هذا المتن الروائي التأكيد على قضية الهجرة إلى بلاد المهجر، التي استفحلت كثيرا بين فئة الشباب خاصة في عصرنا الحالي، مع اختلاف الدوافع والأسباب التي أدت بهم إلى الرحيل وترك أوطانهم، وديارهم، فتجسد لنا هذه الظاهرة مرة أخرى عن طريق شخصية "مرسال" فهذه الأخيرة عانت من غربة نفسية واجتماعية بسبب الضغوطات الاجتماعية وإحساسها بعدم الانتماء وعدم حريتها في تقرير مصيرها.

* اختارت "مرسال" الرحيل والهجرة إلى المدينة من أجل الحب والاستقرار والابتعاد عن قيود الأعراف والتقاليد القاسية التي جعلتها تعيش في دوامة من الهم والغم واليأس، تقول الساردة في ذلك: «في المدينة تزول الشقوق من الأنامل والأقدام، شمس المدينة لا تحرق (...). في المدينة أدفن قلقي وحيرتي وأودع وحدتي القاسية، هناك أتعلم معنى الحياة أتمشق بسلام تपाल الشمس»⁽²⁾، تبحث "مرسال" عن عالم مغاير لواقعها المعاش، عالم مستقل لا تحده حدود ولا قيود خاصة الذي يطوق الفتاة.

* تناولت الروائية "إيميلي نصر الله" أيضا ظاهرة زواج الفتاة قصرا وزواج الأجنبي بحثا عن الحياة المادية، وهروبا من حياتهم الفعلية المزرية، فلمسنا في الرواية تقييد المرأة وعدم إعطائها الحق في اختيار شريك حياتها وتقرير مصيرها، مؤكدة فكرتها في قولها: «إنه جون العريس الجديد جون... فأجابت يائسة لم أعد أعرف شيئا يا منى لقد أضعت دروب حياتي»⁽³⁾.

(1) الرواية: ص 241، 242.

(2) المصدر نفسه، ص 227.

(3) المصدر نفسه، ص 176، 177.

راجي:

فتى طموح يسعى لتغيير حياته، هاجر من قريته التي حدثت من طموحه وآماله، ودافعه في ذلك طلب الرزق.

تناولت الساردة موضوعا رئيسيا هو الاغتراب بكثرة، فكان حديثها عن هجرة شباب القرية إلى المدينة لأوضاع اجتماعية التي لا تسمح لهم بالعيش الرغيد، فاختاروا الهجرة إلى المدينة بدل الخضوع للذل والهوان التي عاشوه في بيئتهم من ظروف قاسية وصعبة، حيث نلاحظ في المقطع التالي: «وعدت أسمع راجي يدافع عن نفسه، عن جيله، أجل لم تكذ الأرض تكفي، أحببت أبي وأرضي، ياليتني أقوى على سلك الدرب الذي أعده لي أبي.

-ماذا نفعل نحن هنا؟.

-الأرض؟ هذه الرض نقطة منسية في دنيا الوجود، من يعرف شيئا عنا، عن أرضنا؟ من ذات طعم الملح في العرق المتين من وجوهنا؟

-من يحترق كل يوم عشرات المرات تحت لسع الشياطين الإلهية؟

-من يموت في الصقيع ألف ميتة، ويدفق أطراف أنامله في الثلوج لتتدفأ»⁽¹⁾.

*وصف "راجي" الأرض التي لم تسعه للعيش بأنها محرومة ومنسية، حتى يقنع نفسه وأهل قريته بالهجرة والحياة الجميلة التي سيجدها في بلاد الأخر.

إذن، لجأ راجي إلى الهجرة بسبب ضيق الأرض وعدم اكتفائه بها.

أما السبب الثاني باقتناع راجي بالهجرة هو احتقار الدولة لأفرادها وعدم إعطائهم حقوقهم، تقول الساردة «الدولة التي تجمع الضرائب على بيادركم، في كل عام، ماذا فعلت لتزيد غلات أرضكم»⁽²⁾، احتقار الدولة للشعب وعدم إعطائهم حقوقهم تزيد من فكرة ودافع اغتراب وهجرة شباب القرية نحو بلاد المهجر حيث تقول في ذلك «هل سكبت قطرة ماء في حلوكمم اليابسة؟ هل فكرت في إطفاء النار الملتهبة بين

(1) الرواية: ص 92، 93.

(2) المصدر نفسه، 93.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

ذرات التراب أنتم تحملون غلاتكم، على ظهوركم، في نهاية الموسم، وتقفون على السطوح، تنادون عليها، وتبح حناجركم، وتختنق أصواتكم، وتتعضّ الغلات وتسوس بين أيديكم»⁽¹⁾، في نفس سياق القول يعبر راجي ويدافع عن هجرته من خلال ما يعاينه الفلاحون في أراضيهم من تعب وشقاء في جني الكروم والزيتون، وحين يصل وقت الحصاد يكون انتاجهم غير وفير ولا يلبي حاجاتهم اليومية.

كما نلاحظ أن شباب القرية يؤيدون فكرة "راجي" للهجرة، حين نجد ذلك في قولها «والله الحق مع راجي، ما في غير الهجرة.»⁽²⁾، يطمح شباب القرية لتحسين أوضاعهم الاجتماعية وخاصة المادية لأنهم يعيشون في فقر مدقع نتيجة الظروف القاسية التي تفرض عليهم دولتهم وبالأخص قريتهم وقد «حقق لهم "راجي" أحلاما يجيئون فيها كل يوم»⁽³⁾، هجر راجي القرية وترك صمت رهيب فيها و بصمة في قلوب أهلها من مشاعر الشوق والحنين له خاصة والده.

شفيق:

فتى طموح سعى إلى هجرة قريته وهو في سن مبكرة قبل أن يبلغ مرحلة الشباب، ترك والدته وحيدة، حيث غادر القرية لأسباب، «مضت عشر سنوات على غياب "شفيق" هكذا شاءت عمته في أمريكا! كانت أرملة ثرية وليس لها أولاد، فكتبت لهم تقول: أنا مستعدة لأن أتحمّل نفقات السفر كلها. لا تقتلوا مستقبل الصبي، ابعثوه هنا سوف يتعلم وحين ينهي اختصاصه يعود إلى البلاد»⁽⁴⁾، يؤكد هذا المقطع أن "شفيق" اغترب وهجر قريته ومجتمعه لسبب مهم ألا وهو ارتحاله لطلب العلم وفي هذا يقول "شفيق" برسالة يبعثها إلى والده بأنه عازم على البقاء: «علمي يخدمني هنا يا أبي»⁽⁵⁾، إذن، فغربة شفيق ناتجة عن دافع طلب العلم، فالارتحال في طلب العلم حث عليه حبيينا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(1) الرواية: ص 94.

(2) المصدر نفسه، ص 109.

(3) المصدر نفسه، ص 124.

(4) المصدر نفسه، 120.

(5) المصدر نفسه، ص 121.

سايمون:

من شباب القرية الذي غادرها في سن مبكرة، وعُرف باسم "سمعان"، حيث «كانت تلك أول زيارة يقوم بها "سايمون" وعروسه لعائلتنا، قبل أن يغادر القرية، كان اسمه سماعيل»⁽¹⁾، نشأ سماعيل في أحضان القرية مع أبناءها «لقد عرفته الحقول، والكروم، وأعالي التلال»⁽²⁾.

تغيرت ملامح هذه الشخصية عند مغادرته للقرية، وذلك لما عاناه في غربته بعيدا عن أهله، وهذا ما بيّنته الساردة في تعبيرها «أما سايمون الذي زارنا تلك الليلة، فلم يكن يحتفظ بصفة من الصفات التي علقت بذاكرتي منه، كان يطل على العقد الخامس من العمر، وقد تمذلت عضلات وجهه، وغادرت عيناه في تجاويف عشعش فيها الهم والعناء، وبدت السمنة واضحة في أصابع يديه وكرشه المرفه وحركاته البطيئة الناعسة»⁽³⁾.

* عاش سماعيل غربتين، الأولى في قريته التي ابتعد عنها لظروف حتمية، والثانية في بلاد المهجر، فقد احترق قلبه بنار الشوق والوحشة لموت والده الذي كتب له القدر أن يذهب إلى دار الخلد والغناء، ولضعف صحة والدته أدى به هذا إلى الرجوع من الغربة فورى تلقيه آخر رسالة من أمه تُخبره فيها عن حالتها الصحية المتدهورة، واختيارها عروسا له «أمك ستموت قريبا يا بني، فرح قلبها وتعال»⁽⁴⁾، اقتنع سماعيل برسالة أمه، وعاد إلى دياره وأهله.

وتماشيا مع ما تمّ ذكره، نستنتج أن اغتراب "سيمون" كان لدافع طلب الرزق، والبحث عن الحياة الرفاهية «الدولارات، ياخي، وحدها يتحلى بها الأيام، بياخدوا أحلى بنات القرية»⁽⁵⁾، من خلال تغيير حياة "سيمون" للأفضل قرر أبناء القرية الهجرة.

(1) الرواية: ص 104، 105.

(2) المصدر نفسه، ص 105.

(3) المصدر نفسه، ص 106.

(4) المصدر نفسه، ص 107.

(5) المصدر نفسه، ص 109.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

*تتابع الساردة الكلام عن قضية الزواج قصرا، لتضيف ضحية أخرى على غرار "مرسال"، وهي شخصية "نجلاء"، لقد ذاقت طعم السطوة والعبودية في حياتها، وأحاطت بها سلاسل العادات والأعراف، وقيدت أحلامها وطموحها، فهي كأي فتاة أرادت الزواج بشخص تختاره وتجهه، وكان "كمال" هو الحبيب وفتى أحلامها، لكنها وجدت نفسها في قاع مظلم من الضغوطات الاجتماعية القصرية، خاصة من طرف والديها تؤكد قضيتها من خلال قولها: «ورّد زوجها: بس يا مرا ما بيصير شوفي البنت شو بتقول، وانفعلت أم هاني: إنت عم بتطمع الأولاد كتير، أيمتين كان البنت لها رأي؟ كْنَا بنات وجوزونا أهلنا ما خرب الكون غير لما صار للمرا كلام، أنا بصرف دبرها»⁽¹⁾ إذن، نلمس من خلال هذا القول فكرة أن الفتاة لا يسمح لها باختيار شريك حياتها أو الشخص الذي تفضل أن تمضي معه أيامها، لتستجيب وترضخ لأوامر عائلتها في قولها: «كما تشاؤون يا أمي، ما تعودت أن أخرج عن خاطر كم...»⁽²⁾.

*نلاحظ أن الكاتبة حاولت تقديم صورة عن الواقع الاجتماعي اللبناني من خلال عيّنة تجرعت مرارته، وعانت من ويلاته وهما "مرسال" و"نجلاء". فهذا المجتمع له نظرة قاسية ومشددة في حق الفتاة، وسلب حريتها واستقلالها تحت مسمى العادات والتقاليد، فلا يسمح لها بالخروج عن النظام العرفي الاجتماعي، ما تعلق خاصة بمسألة الزواج، واختيار الرجل المناسب، حيث أن هذا الأخير يكون من اختيار العائلة (الوالدين) والموافقة عليه دون أخذ برأي الفتاة، «أليس مغتربا ذلك الإنسان... الذي يرى أن الحياة فارغة وبلا معنى، الذي لا يشعر أنه سيد حياته، الذي اعتاد الصمت إذ لا يجد فائدة من الصراخ في وجه العالم، والذي يرى أنه سيندم مهما فعل، إذا تزوجت ستندم وإذا لم تتزوج ستندم أيضا»⁽³⁾.

فالزواج القصري لازال يمارس من قبل العديد من المجتمعات والأفراد، وعادة ما يفرض الزواج القصري على الفتيات غالبا وبصورة أقل على الشبان، فينجم عنه آثار سلبية كسوء المعاملة بين الطرفين (الزوج والزوجة) وانعكاسها بشكل كبير على حياة الأطفال داخل الأسرة ما قد يسبب لهم اضطرابات

(1) الرواية: ص 192.

(2) المصدر نفسه، ص 196.

(3) حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 46.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

نفسية اجتماعية، إضافة لزيادة معدل الطلاق والانهيار الأخلاقي، والعنف ضد المرأة، وهذا ما يتجلى ظاهريا في عصرنا الحالي المعاش، وبالتالي فالكاتبة ركزت على القضايا الاجتماعية التي انتشرت بكثرة في عصرها، وفي بيئتها الاجتماعية، فجسدتها في روايتها "طيور أيلول" بأسلوب فني.

في الأخير نستنتج أن اغتراب الشباب وهجرتهم إلى الأوطان الأخرى سببه التفكك الأسري والاجتماعي وعدم فعاليتهم في صنع القرارات، وعدم إشراكهم في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، لتعزيز روح التعاون بينهم في ظل الممارسات التعسفية، الناتجة عن عادات وتقاليد وقيم يفرضها المجتمع عليهم، وأصبح شباب القرية في عصرنا الحالي يعبرون عن اغترابهم بصور مختلفة منها الهجرة إلى بلاد المهجر والانسحاب من الحياة الاجتماعية، أو التمرد والرفض لكل ما هو تقليدي، والمخالفة العلنية لكل النظم والعادات الاجتماعية.

3- الاغتراب المكاني:

يُشكل المكان عنصراً مهماً وحيوي في حياة الإنسان، فهو تلك الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها الفرد، وما يترك في نفسيته من انطباعات، فمن خلال المكان يُمكننا التعرف على الحالة النفسية للشخصية. حيث نجد أن «أن المكان والبيئة يُمثلان الطاقة النفسية للقصة وتساعد خيال القارئ، كما تساعد أيضاً على فهم الحالة النفسية للقصة أو الشخصية».⁽¹⁾

تعرض لنا الكاتبة في روايتها "طيور أيلول" اغترابات مكانية كثيرة نتيجة إحساس الفرد بالغربة سواء داخل الوطن أو خارجه، وشعوره أيضاً بالحنين والشوق للعودة إليه، فالاغتراب المكاني وضّحت الساردة من خلال الهجرة الكثيفة والغير الشرعية لأبناء قريتها لبلاد المهجر، بسبب حالات الفقر والحرمان وسوء أوضاعهم، في قولها «هربت من جُو الغرفة الضيقة، هربت إلى المصطبة بغلالة النوم»⁽²⁾، فهي تُشبه هجرتهم من القرية كالذي يهرب من عُرفته الموحشة المظلمة إلى مكان واسع يلجأ إليه.

(1) سليم معاش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب، ط1، 1998، ص37.

(2) الرواية: ص 16.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

* في رواية "طيور أيلول" سجّلنا حضوراً واضحاً ومتميزاً للفضاء الريفي فجّل أحداث الرواية وقعت في القرية، فهذه الأخيرة شاهدة على كل ما عاشته الساردة مع أبناء قريتها من اغترابات بشتى أنواعه فنجدها تعيش غربة مكانية في قريتها، حيث تجعل القرية في موضع السلب، أي مكاناً مظلماً غارقاً بالأحزان والمُهموم، مكاناً تحس فيه بالقلق والضياع، وأنها مُقيدة ضمن حدود هذه القرية في قولها «كانت أفاق القرية تحد أحلامي وأفكاري»⁽¹⁾، في هذا المقطع الصغير، تجعل من القرية مكاناً مغلقاً لضياعها واغترابها.

* وفي موطن آخر تجعل من القرية موضع الإيجاب، أي مكاناً مفتوحاً للهروب إليه من خلال التأمل في مظاهر وتضاريس القرية من حقول وبساتين وأشجار الكروم، فتهرب بذلك من وحدتها التي تعيشها بين عائلتها وفي غرفتها الموحشة، إلى أحضان الطبيعة فتقول في ذلك «فهربت من الغرفة المظلمة إلى الطريق، إلى كرم الزيتون القريب»⁽²⁾، راحت الكاتبة تسترسل في وصف القرية بكل تفاصيلها الدقيقة، حيث أسهبت في وصف الحقول والكُرم وينابيع المياه وقد عمدت إلى هذا الوصف لتعبر عن حالتها، باعتبار أن القرية هي مؤنسها ومأواها الذي تفر إليه من واقعها المرير القاسي.

* ثم تنتقل بنا الساردة في مقاطع أخرى من الرواية إلى المدينة التي طأماً حلمت بزيارتها والهروب إليها، ويتضح ذلك في قولها «كيف تفهم أن عيني شاردتان إلى أفاق بعيدة... عن حدود القرية؟ وأنّ قديمي تحفران إلى الهرب»⁽³⁾، إذن، كانت المدينة وسيلة لخلاص الساردة وهروبها من هذا المكان المتأزم (القرية)، الذي يقهر الإنسان ويقيد حريته وذاته، ويجعله يتخبط في متاهات الحزن واليأس نتيجة العادات والتقاليد التعسفية.

فإن ارتحال "مئي" من القرية إلى المدينة شكل منعرجاً حاسماً في حياتها باكتشافها تناقضات جليّة واختلافات كثيرة، منذ أن وطأت أقدامها المدينة.

تلك المدينة الراقية التي تعم بالاستقرار والهناء، عمدت الساردة على وصفها بأدق جزئياتها وتفاصيلها.

وكما ذكرنا أنفاً بأن المدينة كانت مهرباً وعالمًا مفتوحاً للأحلام وطموحات "مئي" فلطالما حلمت بزيارتها.

(1) الرواية: ص 12.

(2) المصدر نفسه، ص 62.

(3) المصدر نفسه، (ص، ن).

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

*تضعُ لنا الساردة المدينة موضع الإيجاب والأمل والسعادة بالنسبة لها في قولها «في المدينة أَدفن قلقي وحيرتي، وأودّع وحدتي القاسية، هناك أتعلم معنى الحياة»⁽¹⁾، فهي هنا تجعل من المدينة رمز للحياة والحرية والسلم، وأنها بعيدة كل البعد عن ضغوطات مُجتمعها فيها .

أما في مواضع أخرى تضعها موضع السلب، ورمزا سلبيا لُغربتها المكانية، بعد أن عايشتها عن قرب تقول الساردة واصفة غربتها على لسان "مرسال" «وطوّقتني أنظار شرهة رآحت تحمّلني فيّ وتُعريني ومدّت إليّ المدينة سَاعديها»، لقد ظهرت هنا المدينة بوجه غير الذي كانت تحلم به الكاتبة لتواصل قولها « شعرت بالاختناق، بحاجة قصوى إلى الهرب، وظلت المدينة تزحف إليّ... وذراعاها تمتدان إليّ تطوقاني، ثم تقذفان بي إلى إحدى حجراتها المظلمة»⁽²⁾، فهي تُشبه المدينة بالمرأة الشمطاء أو الساحرة التي تسحبها وتغلفها بين أحضانها لترمي بها في مُستنقع مجهول مظلم.

إذن، قد أصبحت المدينة بالنسبة ل"من" كالحجرة المظلمة والنقطة السوداء في حياتها، بالرغم انها كانت تحلم دائما بالمفر إليها، واحساسها بالوحدة الموحشة، التي لم تعشها في قريتها، وأما بقيت في وسط مجهول تلمح فيه الخوف والضياع والأسى والنقمة لمصير مجهول، وكم تمت أن تعود إلى قريتها، وإلى أيام طفولتها لتستشعر الدفء والحنان في حضن والديها، تقول في ذلك «وفي صباح اليوم التالي طرت في عروقي لتصل إلى اناملي(...) وظل الشوق يفور في صدري»⁽³⁾، فكان الشعور بالغبرة والحنين إلى الديار يزداد في أعماقها.

* تعود بنا الساردة في ثنايا الرواية سرد الغربة المكانية التي عانى منها شباب قريتها، من خلال ترك ديارهم والهجرة إلى بلاد المهجر، كل حسب دافعه الذي أذى به إلى الهجرة كأمثال "راجي" و"مرسال" و"نجلا" وغيرهم كثير.

تتحدث الساردة في المتن الروائي عن هجرة "راجي" إلى امريكا، بحثاً عن الرزق وحياة أفضل، لتكون بذلك القرية مكاناً مُظلماً له، ومُحطمة لأحلامه وطموحه، فهي بالنسبة له رمز للعناء والشقاء، وموطن

(1) الرواية: ص 227

(2) المصدر نفسه، (ص، ن).

(3) المصدر نفسه، ص 242، 243.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

اغترابه، حيث توضح ذلك في قولها «إن حدود القرية تضغط أعصابي، تكاد تقتلني، أنا مسافر يا مرسال»⁽¹⁾، فـ"راجي" هنا لم يجد ملاذَه في قريته، لقد ضاقت به أرض قريته وضاقت معها طُموحه، فأصبحت المدينة الكبيرة هي أمله الوحيد وملجؤُه الثاني من واقعه الغامض المتشئت.

كما نلتَمس من خلال حياة "راجي" العائلية أن والدته عاشت في أمريكا مع والدها وذاقت حياة المدينة، ما زاد من حماسة "راجي" لعيش وتدوق حياة المدينة مثل أمه، فقد كانت تنصحه بذلك في قولها «الحياة في امريكا غير هُون يا ابني، بدِّي ياك تسافر تبعد عن قساوة العيش»⁽²⁾، هذا ما زاده رغبة إلى الهجرة والرحيل، والغوص في متاهات المدينة ومظاهرها.

والأمر نفسه عند باقي شباب القرية كأمثال "كمال" و"سايمون" و"شفيق" الذين هاجروا إلى أمريكا وكندا، رغبة منهم في تحسين حياتهم ومستواهم المعيشي، فهؤلاء الشباب اعتبروا القرية نقطة سوداء في حياتهم، وأنها لم تُقدم لهم الحياة المثالية التي تَمَنُّوها ورغبوا في عيشها كباقي الأفراد.

*وفي مقابل ذلك اعتبروا المدينة حلهم الوحيد للتخلص من مشاكلهم والضغوطات الاجتماعية التي فرضها المجتمع تحت اسم العادات والتقاليد، يتضح ذلك في قولها «المدينة الجبارة تفتح سواعدها العملاقة»⁽³⁾، فهي في نظرهم تعتبر باب رِزق وأمل لحياة أفضل. حيث نجد أن «الحافز الاول والاهم الى المهاجرة فقد كان طلب الرزق ويتلوه الهرب من الظلم والفساد»⁽⁴⁾.

إذن، اقتصر غربه المكان عند شباب القرية غالباً عن رحيلهم من قريتهم إلى بلاد المهجر لطلب الرزق والمال، والبحث عن حياة أفضل، ما زادهم غرباً هو حنينهم وشوقهم الدائم لقريتهم وأهلهم.

يمكن القول أن الإنسان مهما طال به الأمر خارج دياره ووطنه فإنه متصل دائماً بأرضه وترابه، ويتحسس الشوق والحنين لأهله.

(1) الرواية: ص 54.

(2) المصدر نفسه، ص 96.

(3) المصدر نفسه، ص 148.

(4) سليم معاش: صورة الغرب في الرواية العربية، ص 94.

الفصل الثاني:.....تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

فالإنسان بطبعه ابن بيئته، يحمل خصوصياتها وسماتها ولا يستطيع فصل ذاته وانتمائه عن وطنه الحبيب، رغم بعد المسافات، ومن خلال الاغتراب المكاني جسدت الروائية لنا ظاهرة الهجرة القسرية لأبناء قريتها.

*تجدر الإشارة إلى أنه قد نتج عن مخلفات الاغتراب المكاني اغترابا اخرا وهو الديني، وهذا راجع إلى الابتعاد عن الوطن و الاستقرار في بلاد الأخر الكافر، فيجد المغترب نفسه في دوامة نتيجة هذا البعد، وأن الاغتراب الديني لا يقاس من خلال الوجود في بلد المسلم أو غيره، لأنه مرتبط بعلاقاته الروحية مع خالقه.

لا نستطيع الحكم عموما على عقيدة المسلم وإيمانه من خلال البعد المكاني، ولكن ربّما تكون الظروف الجديدة، وعادات الاخر مُغرية، وبالتالي تساهم في أحداث الغربة الروحية للإنسان، قد يستفيق منها بعد فوات الاوان او بمهذبة الله، وانطلاقا من الرواية التي بين أيدينا لاحظنا أن الاغتراب الديني شبه منعدم إلا ما ارتبط كما قلنا بمخلفات البعد عن الوطن الام.

4- الاغتراب الزماني:

تبدأ أحداث رواية "طيور أيلول" بمقتطفات زمانية ترجع بها الساردة إلى الماضي وتغترب عن زمانها، حيث تعود إلى ذكريات طفولتها تقول "منى" الساردة «حين أجلس هنا على الشرفة الخضراء، المطلة على الشاطئ الذهبي الدافئ، أفكر في أولئك الاحباء الذين عاشوا معي فترة من العمر»⁽¹⁾، تقوم "منى" باسترجاع أحداث الماضي، واغترابها عن الحاضر فهي فتاة مرهفة الحس.

فأحداث الرواية تدور على لسانها، حيث تقوم بوصف دقيق لكل الشخصيات الموجودة داخل الرواية، وتصف ملامحهم الخارجية والداخلية وظروفهم المعيشية، كل هذا من خلال العودة إلى الماضي، واستدكار الأحداث تقول في صفحاتها الأولى من الرواية «عندما يجل أيلول، تاسع اشهر السنة، تمر فوق قريتنا أسراب كثيرة من طيور كبيرة الحجم وقوية الجناحين يعرفها السكان ب"طيور أيلول" إن هذه الطيور المهاجرة ترى أن الهجرة نقطة جديدة في دائرة الزمن»⁽²⁾.

(1) الرواية: ص 14، 13.

(2) المصدر نفسه، ص 07.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

* تبدأ الساردة بأحداث الماضي، حيث ترى أن هجرة الطيور التي تمر كل عام فوق قريتها، مثل حلقة الزمن، فهي تشبه الافراد في هجرتهم من قريتهم إلى بلاد الأخر، وتحاول ألا تستذكر تلك اللحظات، لأنها لحظات وداع قاسية تقول في ذلك «لقد مرّت سنوات على ذلك، وكلما حاولت العودة إلى الماضي رأيتني أندفع هاربة في سبل جديدة تسطرها أمامي الحياة»⁽¹⁾، تعود بنا الساردة إلى الماضي الذي لا تريد ان تستذكره، الماضي الذي عاشته بعيدة عن واقعها، فهي تغترب في بعض الأحيان عن زمانها الحاضر وتعود بها الذاكرة إلى الوراء. تقول في حديثها عن أهل قريتها بنبرة حزينة «وتعودني وجوههم، تترحلق في حياتي بكل العواطف والآلام التي تنساها فأراها تطل من وراء الغيوم المتقلبة في الجو أمامي، حاملة إليّ صوراً واضحة لتلك الأيام، ضاحكة حزينة، صامته، مرحة»⁽²⁾.

*تستذكر الساردة أحداث الماضي وتغترب عن حاضرها في معظم صفحات الرواية، حيث تعبر عن اغترابها نحو الماضي فتقول: «ثم أقلب التقويم اليومي، أعدّ الأيام والحدّات، أي أحداث؟ ونحن، إلى أين نمضي؟، وماذا نترك بعدنا؟»⁽³⁾، وجدت الساردة نفسها تبحث عن أجوبة لأسئلتها، لأنها أصبحت غريبة عن عالمها الحاضر، فهي تصور لنا أياما ولحظات عاشها المجتمع اللبناني تحت وطأة الجهل والتخلف، و تواصل قولها عن هذا الحدث وهي تستذكره وتعبّر عنه «وأبو هاني اعترف أن فواز اشترى من دكانه زجاجتين من العرق، أفرغهما في جوفه دفعة واحدة، ظل فواز يدور حول بيت مريم، أفلتت من بين شفثيه صرخة يائسة "مريم" تقف خلف النافذة، تسمع وقع خطاه فأطلت برأسها تبحث عن مصدر الصوت فانقضى عليها بقبلة نارية من فوهة مسدس»⁽⁴⁾، كل هذه الأحداث وقعت في حياة الساردة مع صديقاتها وزميلاتها فهي نقلت لنا اغتراب في حياة "مريم".

تغترب "منى" الساردة عن زمانها لتعبّر عن حالتها الماضية التي مضت وتقارنها بالتي تعيشها فتقول في هذا الصدد «والزمن يمشي ويتابع سيره، وأرى أثار أقدامه فوق هذه الصفحات الصفراء المتأكلة»⁽⁵⁾،

(1) الرواية: ص 11.

(2) المصدر نفسه، ص 16، 17.

(3) المصدر نفسه، ص 17.

(4) المصدر نفسه، ص 46.

(5) المصدر نفسه، ص 114.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

فهي تجد من خلال اغترابها عالماً مليئاً بالحرية والاستقلالية فهو زمن العمر يدور من حلقة إلى حلقة ليوصلها إلى تحقيق أحلامها.

*تعود بنا الساردة إلى اغترابها الزماني في المدينة، فتسترجع بذاكرتها الأيام التي عاشتها في المدينة حيث تقول: «الأيام التالية كانت قاتلة بزيارتها، وظل التقويم على جدار غرفتي، يتشاءب كل صباح عن يوم جديد وأنا أتذكر ثقل تلك الأيام وبطء سير الزمن... وكان شتاء ذلك العام طويلاً، أمضيته وفي صدري سقف انتظار»⁽¹⁾.

إذن، هربت الساردة من واقعها المرير، واغتربت عن زمانها، الذي تقيده عادات وتقاليد قاسية لتعود بنا إلى عالم الطموحات وعالم الأحلام.

كما عبرت الساردة في موطن مغاير عن اغتراب "أبو راجي"، وهو يغترب بذاكرته إلى الماضي عندما هاجر ابنه، فتقول «أما الآن، وقد جلس امام أبو الياس، يسمع ديب الزمن ويلعق غبار الأيام فقد شعر بعجز كلي عن شق السيل إلى تلك الأحلام، وحاول أن يرسم وجه راجي، وهو يطل من الباب، كما كان يفعل في كل يوم، فخاتته الذاكرة»⁽²⁾، نجد هنا اغتراب زماني، يتموضع في ذاكرة أبو راجي، فهو يستذكر الأيام التي أوقفها الزمن، الأيام التي كانت يعيشها مع ابنه، وبالتالي يغترب عن زمانه ليعود إلى الماضي الدفين بالحزن والأوهام.

كل هذه الاغترابات الزمانية تُشبهها لنا الساردة بنبع الطاحونة الذي يتدفق الماء من حولها، والذي ينصهر من اعالي الجبال المكسورة بحلي من الثلج، ودورات الطاحونة التي تطحن حبوب القمح، وكأها تمثل بذلك دوران الزمن من ماضي وحاضر ومستقبل «واتجهنا إلى نبع الطاحونة، حيث الماء يتدفق بسخاء دوباً من الثلوج المشرّبة فوق الجبال القريبة، ويغور في شرايين الوادي، يشده سحر المجهول، كنت أطرب لصوت الرحي، تدور وتدور لتطحن الحبوب السمراء، ويجلجل هديرها بين منعطفات الوادي»⁽³⁾.

(1) الرواية: ص130.

(2) المصدر نفسه، ص 142.

(3) المصدر نفسه، ص132.

الفصل الثاني:..... تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

*جاءت هذه الاغترابات الزمانية لتؤكد حالة "منى" وأبناء قريتها، وما يعانونه من مرارة العيش، ومن واقعهم المروري، إذ يغتربون عن زماهم، فيتحدون بذلك عالم الأحلام و الأمنيات مهربا لهم، و يجدون في اغترابهم الزماني راحة وطمأنينة.

5- الاغتراب اللغوي:

تشكل اللغة العنصر الرئيسي المهم في تحديد الهوية العربية، واللغة هي نقطة التقاء بين الكلام والفكر، أي أن الكلام هو الأداة الذي يعبر به عن الأفكار والأحاسيس، فالإنسان الذي لا يجيد الحديث بلغته ولا يستعملها، يعد في الحقيقة إنسانا معزولا و مغتربا عن لغته.

لاحظنا في هذه الرواية "طيور أيلول" أنها قدمت مجموعة من الاغتراب اللغوية، متنوعة ومتعددة، جاءت عبر صفحات متناثرة في المتن الروائي، كما حملت ايديولوجيات ودلالات مختلفة، مررتها الكاتبة "إملي نصر الله"، فمثلا جاء في السياق التالي: «فواز؟! مين بيكون هالكلب حتى أعطيه ابنتي؟ كيف بيسترجي يرفع بصرو لوجه مريم؟ (...). فقد انتفض والد مريم:

-حب؟... كلب مثل هيدا بيعرف يحب؟... كل عمرو عايش بالزقاقات يروح يتطلع على شغلي تنفعو، ويترك بنات الناس»⁽¹⁾ إذ جاء هذا المقطع على لسان شخصية "أبو مريم" الرجل المتسلط العصبي، له نظرة متحيزة وطاغية بشأن زواج الفتاة وتقرير مصيرها بنفسها، دون تدخل أحد، أو أخذ موافقتها، كما نتلمس من خلال كلامه أنه شخصية محافظة على العادات والتقاليد.

*تريد الكاتبة من خلال هذا الاغتراب ان توصل لنا فكرة أن الرجل هو المسيطر، والمرأة مهمشة داخل مجتمع ذكوري وداخل عائلتها من طرف الوالدين وهذه السلطة الذكورية تأخذ بقوتها ما يفرضه المجتمع من قوانين وأعراف.

في موضع آخر جاء المقطع الروائي على لسان شخصية المرأة "سلمى" تقول في ذلك: «أنا يا رجال موافقة على طول (...).

(1) الرواية: ص 41.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

انفعلت أم هاني:

- انت عم بتطمع لأولاد كثير، أيمتين كان البنت لها رأي؟ كنا بنات وجوزونا أهلنا، ما خرب الكون غير لما صار للمرأ كلام»⁽¹⁾

*نلاحظ أن الساردة لم تقف عند صنف الرجل كشخصية مسيطرة بل امتدت إلى الجنس الأنثوي دلالة على هذا المجتمع، أن مهما تبرز السلطة الذكورية، فإن المرأة تُضفي شخصيتها وهويتها في مجتمعها، وهذا ما نلاحظه حالياً في المجتمعات العربية والغربية إذ أصبح للمرأة دور فعال في الوسط الاجتماعي، والثقافي والاقتصادي وغيرها، وأنها استطاعت التخلص من كل تلك القيود والأعراف التي كانت تحكمها وتُسير حياتها، وتقرر مصيرها وأصبحت بذلك رافضة لكل الذل والاهانات والعنف الذي يلاحقها. حيث أصبح ما يعرف بمنظمة حقوق المرأة التي تساندها وتدافع عنها، وتحارب ظاهرة العنف ضدها.

*ثم تُبحر بنا الساردة من خلال عملها الروائي إلى تعزيز انقسام اللبنانيين عن هويتهم الوطنية في بلاد المهجر، إذ أنّها من خلال الاغتراب اللغوي تركز على قضية هجرة شباب قريتها، وضياع لغتهم الأم العامية واللغة العربية الفصيحة في بحار بلاد المهجر، وعدم تمكنهم من التكلم بلغة الغير (اللغة الإنجليزية)، وبالتالي إحساسهم بالاغتراب عن لغتهم الأم من جهة، والغربة عن لغة الآخر من جهة أخرى، وعدم تمكنهم من الاندماج والانصهار في المجتمعات الغربية.

تؤكد على فكرة ضياع اللغة، وأثر الاغتراب في ذلك، من خلال الغوص في الآثار المترتبة عن الازدواجية في الأسماء وضياع أبنائها بين لغة وطنهم ولغة البلاد المضيف، من ذلك تغيير الأسماء من أصلها العربي إلى الأجنبي، كما لمسناه في بعض الشخصيات كـ"جون وسمان"، فهذه الظاهرة معروفة جلياً لدى الشباب (تغيير الأسماء).

ارتبطت اللغة عند الكاتبة بالنفي والهجر، حيث عاشت نهارها بلغة ومساءها بلغة أخرى، فمند الطفولة كان التمزق اللغوي يسود ذاتها، فحينما تتأمل هجرتها تجد نفسها بأنها تشعر باغتراب لغوي.

⁽¹⁾ الرواية: ص 192.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

*كما كشفت لنا "إملي نصر الله" من هذه الاغترابات اللغوية صورة مجتمعها اللبناني، التي لمسناها من بعض الألفاظ والمصطلحات كلفظة "الزوادة"⁽¹⁾، وهي معروفة لدى المجتمعات العربية خاصة، وتعكس تقاليدهم وهويتهم القومية العربية.

إذن، عملت الكاتبة على نقل صورة واضحة حيّة عن المجتمع اللبناني، وعن المرأة التقليدية المضحية، كما حاولت أيضا تصوير القرية اللبنانية وما يحيط بها من فقر وشقاء وتخلف.

*كما تذوقنا من خلال عملها الروائي "طيور أيلول"، وباستعراضها لمجموعة من المعطيات اللغوية ظاهرة تداخل الأجناس الأدبية، حيث نجد في المقطع الآتي:

«حبيبي أسمر وحلو

ليس بين الرجال مثل حبيبي

في عينيه تعيش حكايات الربيع

وثوراك أشجار الصفصاف على ضفاف أنهارنا

في ساعدي حبيبي عزم الجبال، وصلابة سنديان

وقلبه الطفل يحبني»⁽²⁾

فقد أضفت على روايتها الشعر، من خلال بعض القصائد والأناشيد، تقول أيضا:

«اعصفي يا ربح الجنوب

احمليني إلى حيث يقيم حبيبي

ويا طيور أيلول، إلى أين تحملك الأجنحة؟

هل صادفت حيي في رحلت

(1) الرواية: ص 40.

(2) المصدر نفسه، ص 17.

(.....)

أرى حبيبي كإله

يسير في أرض ملكه

أرى فوق ذرى حرمون

(.....)

في زهور الأقحوان»⁽¹⁾

حاولت الكاتبة أن تسلك مسالك الأدب من خلال دمجها للفن الروائي مع الشعر والقصة والاسطورة وغيرها من الفنون، محاولة بذلك إثبات ذاتها، وأنها قادرة على الخوض في هذا المضمار رغم الاغتراب الذي عاشته بكل أشكاله.

إذن، يمكن القول: أن الكاتبة "إملي نصر الله" بتوظيفها سلسلة من الاغترابات اللغوية، حاولت من خلاله رصد صورة بيئة المجتمع اللبناني، وما يتميز عن غيره من المجتمعات بلغته ولهجاته وعاداته، وأعرافه. وفي المحمل تصور الساردة حالة أبناء قريتها المغتربون وما يعانون منه من صعوبة التأقلم والاندماج مع المجتمع الغربي، لصعوبة التواصل بينهم، وعدم إتقانهم للغة الإنجليزية.

نستنتج من خلال دراستنا لرواية "طيور أيلول" للكاتبة "إملي نصر الله" أن الاغترابات تنوعت فيها، من اغتراب عن الذات، الى الاغتراب عن المجتمع، ويلحقه الاغتراب عن الوطن... الخ، وكل هذه الاغترابات متداخلة فيما بينها، ومكملة لبعضها البعض.

إنّ الكاتبة "إملي نصر الله" جسدت هذه الظاهرة من خلال شخصية البطلة "منى"، وشخصيات أخرى مساعدة ومكملة كمرسال ومريم ونجلا وغيرها.

توحي لنا كل هذه الاغترابات في الرواية الى الواقع الاجتماعي اللبناني الذي عاشته وعانت منه الكاتبة، حيث صورت لنا بكثرة ظاهرة الهجرة القسرية الناتجة عن اسباب دوافع كثيرة.

⁽¹⁾ الرواية: ص 116.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذا البحث المتمحور حول موضوع الاغتراب وتحليله في رواية "طيور أيلول" للكتابة اللبنانية "إملي نصر الله" توصلنا إلى المجموعة من النتائج، يمكن أن نجملها في :

1. حققت الرواية في العالم العربي مكانة هامة بعد مواجهات عديدة، كما احتلت ظاهرة الاغتراب مكانة أدبية مرموقة في العمل الروائي.

2. سردت الروائية أحداث الرواية بطريقة واقعية جدا.

3. استطاعت الكاتبة نقل لمحة عن خلفيات المجتمع اللبناني، والمفارقات الموجودة بين البيئة العربية اللبنانية والبيئة الغربية.

4. تمكنت الكاتبة من معالجة موضوع الهجرة القسرية في لبنان خاصة والعالم العربي عامة ، وما نتج عنها من سلبيات وضّحتها من خلال الشخصيات النموذجية المغتربة .

5. رسمت الكاتبة لوحة فنية عن مجتمعها اللبناني، ولوّنتها بألوان العادات والتقاليد المحافظة القاسية المقيدة لحرية المرأة في مجتمع بطريكي يجرمها من حقوقها المشروعة حتى حقها في التعليم، مما جعلها تعيش ضمن حالة الانعدام الذاتي أمام نفسها أولا والرجل ثانيا .

6. اعتمدت الكاتبة وهي تطرح موضوعها على التركيز على الشائيات :الأنا والأخر، الرجل والمرأة، الفقر و الغنى، السلبي والايجابي ، من أجل التشخيص العميق للحالة الشعورية النفسية للشخصيات التي تعاني الاغتراب، والوصول إلى الطرح النموذجي له، لذا كانت الرواية ثرية بالاغتراب النفسي فيها.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها، والتي من خلالها حاولنا رسم بعض الأبعاد التي أرادتها الرواية. إن هذه المحاولة من المؤكد تحتاج إلى الزيادة والتصحيح. أتمنى أن تكون نقطة ختام بحثنا هذه. نقطة بداية لبحوث أخرى .

الملاحق

ملحق:

1- التعريف بالروائية إملي نصر الله :

إملي أبو راشد ولدت ب6 يوليو، بمدينة الكفير بجنوب لبنان، أديبة وناشطة نسوية، نشأت في لبنان، تلقت تعليمها الجامعي في جامعة بيروت، وحصلت على شهادة الماجستير سنة 1958، عملت كروائية، صحفية، وكاتبة مستقلة، معلمة، محاضرة، وناشطة في حقوق المرأة، نشرت أول رواية لها باسم "طيور أيلول" سنة 1962، حصلت من خلالها على ثلاث جوائز أدبية عربية، جائزة الشاعر سعيد عقل في لبنان، وجائزة مجلة فيروز وجائزة جبران خليل جبران، من رابطة التراث العربي في استراليا، وجائزة مؤسسة JBB4 العالمية لكتب الأولاد على رواية "يوميات هر"، وتبعت هذه الرواية سبع روايات، وأربعة كتب أطفال وسبع مجموعات قصصية التي تتناول مواضيع مثل الجذور الأسرية، وحياة أهل القرى اللبنانية والحرب في لبنان، ونضال المرأة من أجل الاستقلال⁽¹⁾.

تعد إملي نصر الله أشهر أعلام القصة والرواية في الأدب العربي المعاصر... عرفت أنها صحفية، تكتب التحقيقات الصحفية والزوايا الأدبية في مجلة المرأة والصيد اللبنانية، بين عامي 1955-1970، وتقارب فيها هموما وتحليلات اجتماعية وفكرية وإنسانية... ولقد لقيت الرواية اهتمام النقاد والكتاب والمثقفين والإعلاميين، ولاسيما ان عنواها اللافت قد فتح السجال إزاء قضايا شغلت المجتمع اللبناني ومنها قضية الهجرة للمغتربات⁽²⁾. توفيت الكاتبة إملي نصر الله، أبرز الأديبات في لبنان في عالم العربي عن عمر يناهز 87 عاما، بعدما أثرت المكتبة العربية بروايات تتمحور حول الحياة، ويأتي وفاهما غداة شكر كتابها الأخير = الزمن الجميل...⁽³⁾.

2- أهم مؤلفاتها:

- أول رواية طيور أيلول نشرت عام 1962 م.

⁽¹⁾ ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wkbidya.com

⁽²⁾ أحمد علي هلال، طير من أيلول، مجلة جهينة.

<http://www.jouhina.com/article.php?id=687>

⁽³⁾ طيور أيلول، لن تتراح على نافذتها... إملي نصر الله حلقت مع سرب الربيع

- شجرة الدفلى 1968م.
- تلك الذكريات 1980م.
- الإقلاع عكس الزمن 1981م.
- الجمر الغافي 1995م

*مجموعة قصص

- جزيرة الوهن 1973م.
- الينبوع 1978م.
- المرأة في 71 قصة 1983م.
- الطاحونة الضائعة 1984م.
- خبزنا اليومي 1990م.
- محطات الرحيل 1996م.

*مؤلفات الأولاد

- الباهرة (رواية) 1975م.
- شادي الصغير (كتاب قراءة للأطفال) 1977م.
- يوميات هرّ 1977م.
- روت لي الأيام (مجموعة أقاصيص) 1977م.
- الغزاة 1998م.

*أعمال مترجمة

- صدرت عدة ترجمات لأعمال أدبية لإملي نصر الله، وقد توالى ظهور الترجمات كما يلي:
- الإقلاع عطس الزمن بالإنجليزية (1987 م) وبالألمانية (1991 م) والدنماركية (1993 م).
 - طيور أيلول بالألمانية (1998 م).
 - بيت ليس لها بالإنجليزية 1992م

- خطوط الوهم الرائعة باللغتين الإنجليزية والعربية 1995م.
- تحويل رواية الإقلاع عكس الزمن إلى كتاب سمعي بالدنماركي سمي بالدنماركية 1996م.
- الرهينة بالألمانية 1996م.
- يوميات هر بالألمانية والإنجليزية والإيطالية والهولندية 1998-2001م والتايلندية 2005م⁽¹⁾.
- تلك الذكريات بالفثلندية 2004م.

*جوائز حصلت عليها:

- 1962: أفضل رواية طيور أيلول.
- 1962: جائزة AKL طيور أيلول.
- 1962: جائزة أصدقاء الكتب طيور أيلول.
- جائزة مجلة فيروز، على مجموعة أعمالها الأدبية.
- جائزة خليل جبران، اتحاد تراث عربي، استراليا.
- 1998: جائزة كتاب الأطفال لبي رواية يوميات هر.
- 200: جائزة الدكتوراه، جامعة القديس جوزيف بربوت.
- 1998: قائمة شرف للرواية للأطفال مفكرة قطة.
- 2002: جائزة AKL وشرت عنها مقاله على رياح جنوينة.

3-من آدابها:

- تعبر إملي نصر الله عن المرأة بأنها تتفوق على الرجل.
- الكتاب حسب رأيها سوف يبقى الأساس للحضارة في العالم اجمع، فالأنترنت لا يلغيه أبدا أما ما تخشاه فهو أن يكون المستقبل جارف لشخصيتنا وليس لحضور الكتاب وحسب، ذلك أننا مازلنا غارقين في التقاليد ولم تنصح به، تقبل على ما يأتي إلينا شأن كل مستهلك، الغزو الثقافي يأخذ على غفلة من زمانا وشيدنا

⁽¹⁾ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، www.wikibidya.com

إلى اغراءات تقارب ما يغري الأطفال من جديد الألعاب، وما لم يبق الكتاب مرساة المان فلن نفلح في التقدم مهما بلغت نسبة اتفاقنا للعبة الأترنت. (1)

4- ملخص الرواية:

تعد رواية "طيور أيلول" من روائع الأدب العربي فقد صنّفت ضمن أفضل مئة رواية عربية، فلقد جاءت في زمن الستينيات، مناقشة لشخصيات المرأة المكبلة اليدين، بقيود المجتمع وتقاليده، فهي تعبير واضح عن رغباتها الملّحة في فتح حوار صريح مع الآخر، حول العديد من القضايا التي تعبر عن معاناتها الاجتماعية، حيث عايشت الكاتبة الكثير من الحالات الانسانية، والتشوهات الفكرية، نتيجة الصراعات الاجتماعية، فهي صورة صادقة لحالة الانعدام الذاتي للمرأة أمام ذاتها أولاً والرجل ثانياً، من خلال تعرضها لظلم كبير، سببه عادات عمياء ومفاهيم خاطئة ومتوارثة حول النساء.

عالجت الكاتبة في روايتها موضوع الاغتراب عبر متابعتها سيرة العديد من أبناء بلدتها ومنطقتها من الذين هاجروا وطالت غيبتهم، فباتوا يأتوا لزيارة الأهل مع بداية الصيف ثم يغادرون بلادهم في أيلول، وقد اصطحبوا معهم بعض من يبحثون عن مستقبل آمن خارج الوطن.

وترسم "أملي نصر الله" في رواية "طيور أيلول" أحاسيس ومشاعر تدفقت من لحظة شغف بقرية هي موئل الفؤاد، حيث تحدثنا هذه الرواية عن رائحة الخبز في ساعات الفجر الأولى ورائحة التربة الممزوجة بعطر عرق الذين أحبوها فأحبّتهم، وعن حقول القمح الذهبية الشاسعة الممتدة عن أرض القرية، وعن ثرثرة النسوة عن التبّع، وعن نظرات الصبايا الحاملة التي تشيخ أسراب الطيور المهاجرة، وعن السواعد الشُّمر والعتايا الساهرة في ضوء القمر، وعن طيور أيلول التي تُطل على القرية بغيمة الغصة والحنين للذين رحلوا ولم يعودوا.

طيور أيلول تغوص بنا في عمق القرية وبالأنحص القرية اللبنانية أسرارها، تقاليدها، وحنانها عند شبح الوجوه المغادرة إلى المجهول وعن الشرخ الذي تحدّثه الهجرة فيصبح بذلك الآتي من بعيد إلى جذورها كالغريب، فالقرية التي أنجبت تنكرت له والمدينة التي احتضنته تاهت به في معاملها.

(1) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، www.wikibidya.com.

5- مأخذ عن رواية طيور أيلول:

- الرواية في نظر الأدباء:

- معرض فني للقوية اللبنانية في شتى مظاهرها... إنه لكسب كبيرا للقصة في لبنان.

*مikhail نعيمة:

- حكاية قرية من قرانا، مؤلف غير عادي، يغنيني أدبنا القصصي الفني: الرض تعيش وتتألم كامرأة تحب، والنشر يرتطمون بقدرهم، مقدما قبل أن يتشظوا بعيدا في قلب المغامرة.

*سعيد عقل:

- واحدة من أفضل الروايات التي كتبت بالعربية حتى الآن...تجمع المؤلفة المقدرة الغنائية في التعبير والوعي الاجتماعي.

*يان بروخمن: مشرق هولندي

- إنها قصة الشباب بطموحه وآماله، والشيخوخة برضاها واستسلامها...موطن الجمال في طيور أيلول " أنها ارتقت على السقوط في التقليد الأعمى".

*أمينة سعيد:

- ألوان في يد فنان عرف كيف يمزج بينها، وينقي ويضئ ويظلل، ليخرج الصورة في أليق إطار.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية ورش

أولاً: المصادر:

1. إملي نصر الله: رواية طيور أيلول، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط7، 1991.

ثانياً: المعاجم والقواميس:

2. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج1، ط1، (د، ت).

3. أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب شرح الكبير، المكتبة العالمية، بيروت، مج1، (د، ط)، (د، ت).

4. إسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح تاج اللغة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، ط2، 1979.

5. جميل صليبا: المعجم الفلسفي لألفاظ العربية والانجليزية، دار الكتاب اللبناني، ج1، 1982.

6. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج5، (د، ط)، (د، ت).

ثالثاً: المراجع العربية:

7. ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2006.

8. ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

9. ابن ماجة والدرامي وأحمد، ورواه مسلم، "كتاب الفتن"، (باب الغرباء).

10. أبو العلاء المعري: اللزوميات، تح: مجموعة من الأخصائيين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د، ط)، 2001.

11. أحمد بن علي بن حجر: مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ج1.

12. أحمد علي الفلاحى: الاغتراب في الشعر العربي في القرن 07هـ -دراسة اجتماعية نفسية، دار غيداء، عمان، ط1، 2013.
13. إسكندر نبيل رمزي: الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988.
14. إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب- التمرد- قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011.
15. حلیم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006.
16. الخطيب التريزي: شرح القصائد العشر، تح: فخر الدين قباية، المكتبة العربية، حلب، سوريا، ط1، 1996.
17. ديوان إمري القيس: ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.
18. ديوان عنتره: تح، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، (د، ط)، 1992.
19. رواه مسلم في صحيحه، والإمام أحمد في سنده، وابن ماجه في نسائه.
20. سامية محمد جابر: سوسولوجيا الانحراف، دار المعرفة الجامعية، (د، ط)، 2004.
21. سراج الدين محمد: الزهد في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).
22. سليم معاش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب، ط1، 1998.
23. سليمان حسن: مضمرة النص والخطاب، منشورات اتحاد كتاب العرب، (د، ط)، 1999.
24. سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، (د، ط)، 2000.
25. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، ط3، (د، ت).
26. عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب، المطبعة السلفية، ج2، (د، ط)، (د، ت).

27. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، 2003.
28. عبد المختار محمد خضر: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب، القاهرة، (د، ط)، 1999.
29. فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مديولي، ط1، 1991.
30. فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل للبناني، لبنان، ط1، 2008.
31. لزهة مساعدي: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، الجزائر، (د، ط)، 2013.
32. محمد الهادي بوطارن: الاغتراب في الشعر الرومنسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د، ط)، 2010.
33. محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر - دراسة - اتحاد كتاب العرب، (د، ط)، 1999.
34. محمد رضا: الصعاليك في العصر الأموي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
35. محمد عباس يوسف، الاغتراب والابداع الفني، دار غريب، القاهرة، (د، ط)، 2003.
36. محمود رجب: الاغتراب سيرة المصطلح، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988.
37. محمود عباس يوسف: الاغتراب والابداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004.
38. وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماكس، دراسة تحليلية نقدية، كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 2013.
39. ولد الصديق ميلود: الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2015.
40. يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2008.

41. يحيى عبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

رابعاً: المراجع المترجمة

مالك حداد: ليس في رصيف الأزهار من يجيب، تر: دوقان قرفوط، شركة الأمل، القاهرة، (د، ط)، 1999.

خامساً: المجلات والدوريات

42. إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، ع27، سبتمبر 2017.

43. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة واد سوف، ع8، جوان 2012.

44. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، جوان 2013.

45. مجلة اللغة العربية وآدابها، ع4، 1436.

46. مجلة عالم الفكر، مج10، ع1، الكويت، ماي 1979.

47. مجلة فصول، ع1، ديسمبر 1983.

48. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع07، جوان 2005.

49. مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ع07، 1995.

سادساً: الرسائل والمذكرات الجامعية:

50. أمينة بوعلامات: الاغتراب في الشعر الجزائري في الفترة (1925-1950)، مذكرة مقدمة لنيل

شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، إشراف محمد مهداوي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية

الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، تلمسان (الجزائر)، 2010.

51. جمال معتوق: دراسة سوسيولوجية حول الاغتراب، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة سعد

دحلب، البلدية.

52. زهرة بن عيش: الغربية والاغتراب في رواية طمعه فرمان، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب

واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014، 2015.

53. موسى وفاء: الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقاته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا.

سابعا: المواقع الإلكترونية:

54. أحمد علي هلال: طير من أيلول ... إملّي نصر الله ... وهج الصالة، مجلة جهينة

[http:// www.jouhina. Com/ article. Php ?id= 687.](http://www.jouhina.com/article.php?id=687)

55. ويكيبيديا الموسوعة الحرة www.wkbidya.com

56. [http : //www.jouhina.com/article.php ?id=68](http://www.jouhina.com/article.php?id=68)

طيور أيلول، لن ترتاح على نافذتها...إملّي نصر الله حلقت مع سرب الربيع

57. مهند سعد: الغربة والاغتراب في المفهوم العربي والأدب الفلسطيني، شبكة ومنتديات عاند.

[www. 3aed. Net/ps](http://www.3aed.Net/ps)

قائمة المحتويات

/	الدعاء
/	شكر وتقدير
/	الإهداء
أ- ج	مقدمة
	الفصل الأول: ماهية الاغتراب
5	تمهيد
5	1- مفهوم الاغتراب
5	1-1 لغة
6-5	أ- في المعاجم
8-6	ب- في القرآن والسنة
8	1-2 اصطلاحا
10-8	أ- في الرواية
14-10	ب- في الشعر
15-14	1-3 الاغتراب في الفلسفة
20-16	1-4 الاغتراب في علم الاجتماع
22-20	1-5 الاغتراب في علم النفس
27-22	2- أسباب الاغتراب
31-27	3- مظاهر الاغتراب وأبعاده
31	4- أنواع الاغتراب
32-31	1-4 الاغتراب المكاني
32	2-4 الاغتراب الزماني

33	3-4 الاغتراب النفسي
34 -33	4-4 الاغتراب الديني
36 -35	5-4 الاغتراب الاجتماعي
37 -36	6-4 الاغتراب العاطفي
38 -37	7-4 الاغتراب اللغوي
	الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية طيور أيلول
40	تمهيد
54 -40	1- الاغتراب النفسي
61 -54	2- الاغتراب الاجتماعي
65 -61	3- الاغتراب المكاني
68 -65	4- الاغتراب الزمني
71 -68	5- الاغتراب اللغوي
73 -72	الخاتمة
79 -74	الملحق
85 -80	قائمة المصادر والمراجع
88 -86	قائمة المحتويات